قصة أصحاب الكهف

دراسة بلاغية تحليلية

دكتور

هشام رزق إسماعيل زيادى

كلية اللغة العربية بإيتاى البارود

جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أفصح العرب وأشرف الخلق أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ؛ **وبعد**

فإن القصص القرآنى الكريم يتميز بسمو غاياته وشريف مقاصده وعلو مراميه ، وهو شُعبة جليلة من شُعب القرآن الكريم يروى تاريخ وأحوال الرسل – عليهم السلام – مع أقوامهم ، وما حدث للشعوب من حكامهم ، وكذا أخبار بعض الجماعات كأصحاب الأخدود ، وأصحاب الفيل ، وأصحاب الجنة وأصحاب الكهف ... وغيرهم ، وذلك بأسلوب حكيم ولفظ بديع ، والقصص القرآنى يهدف إلى بيان العِظات والعِبر التى تدعو العقلاء إلى التفكر والتدبر والعبرة مصداقاً لقوله عز وجل : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الأَلْبَابِ ﴾ (١) ، ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢) ، وقصة أصحاب الكهف آية باهرة من آيات الله تعالى المعجزة التى لا تدل إلا على طلاقة قدرته عز وجل لما تشتمل عليه من غرائب وعجائب تثير مَنْ يسمعها وتهز مشاعره وتجذبه إلى تدبر أحداثها وتأمل مشاهدها ، ولذا آثرت أن أعيش أحداث تلك القصة الباهرة وأحيا مشاهدها ، وأتأمل نظمها من خلال سورة الكهف ، ومن هنا كانت هذه الدراسة " **قصة أصحاب الكهف دراسة بلاغية تحليلية** " ، وقد تصدرها تمهيد : تحدثت فيه – بإيجاز – عن

---

(١) سورة يوسف من الآية (١١١) .

(٢) سورة الأعراف من الآية (١٧٦) .

القصص القرآنى ، ومفهوم القصة القرآنية وأبرز أغراضها ، ومدى اختلاف تلك القصة عن القصة البشرية ، والأسرار المتعلقة بتكرار القصص القرآنى ، وكذا تحدثت عن نشأة أصحاب الكهف ، وهجرتهم من وطنهم ، وما حدث لهم فى كهفهم حتى نهايتهم ، وأوضحت مظاهر القدرة الإلهية فى تلك القصة الخارقة ، ومناسبة مطلع تلك القصة وهو قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ لقوله عز وجل : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً * وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ ، ثم أتبعت هذا التمهيد بذكرِ الآيات القرآنية التى تحدثت عن قصة أصحاب الكهف وهى من الآية التاسعة إلى الآية السادسة والعشرين من سورة الكهف ، وبعد أن قرأتُ تلك الآيات الكريمة لاحظت أن بعضها يعرض جانباً أو مشهداً خاصاً من أحداث ومشاهد تلك القصة الباهرة ، بينما بعضها الآخر يعرض جانباً أو مشهداً مغايراً ... وهكذا ، ومن ثمَّ قسمتُ تلك الآيات إلى مجموعات تبعاً لأحداث تلك القصة ومشاهدها المتباينة ، وقدمتُ بين يدى كل مجموعة بياناً موجزاً للمعانى والدلالات مع إيضاح ما تضمنته من مشاهد وأحداث لتلك القصة ، ثم تأملتُ وتدبرتُ النظم القرآنى الحكيم فى كل مجموعة من هذه المجموعات وشرعتُ فى دراسته وتحليله تحليلاً بلاغياً شاملاً لكشف خصائصه التعبيرية، وتجلية أسراره البلاغية ، ثم أعقبتُ هذا بالخاتمة وتضمنت ملخصاً لهذه الدراسة ، وبياناً لأبرز نتائجها .

وبعد فإن يكن فى هذه الدراسة المتواضعة من صواب وتوفيق فذلك من فضل الله عز وجل يؤتيه من يشاء ، وإن يكن فيها غير ذلك فمن نفسى ، وحسبى أننى اجتهدت بقدر ما أُوتيت من فهم ووعى وجهد ، سائلاً الله تعالى

أن يعصمنا من الخطأ ويجنبنا مواطن الذلل ، إنه ولى ذلك والقادر عليه، وصلِّ اللهم وسلم على النبى المعصوم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

د/ هشام رزق إسماعيل زبادى

الأربعاء : ١٨ من جمادى الأولى ١٤٢٧هـ

١٤ من يونيو ٢٠٠٦ م

تمهيد

(أولاً : القصص القرآنى)

لقد حوى القرآن الكريم كثيراً من القصص الذى يحكى تاريخ وأحوال الرسل – عليهم السلام – مع أقوامهم ، وما حدث للشعوب من حكامهم ، وكذا أخبار بعض الجماعات كأصحاب الكهف وأصحاب الأخدود وأصحاب الفيل .. وغيرهم ، وذلك بأسلوب حكيم ولفظ بديع ، " والقصص القرآنى شُعبة جليلة من شُعب القرآن الكريم اختصه الله تعالى منه بنصيب كبير لمكانه من الدعوة ، وحسن بلائه فى المعاونة على آدائها ، فإن تكن شُعبه الأخرى هدى وإرشاداً ، وشرعاً ونظاماً ، وتقويماً وإصلاحاً ، فإن القصص هو الزاد الإلهى الذى يمد الله تعالى به رسوله – عليه السلام – فى رحلته البعيدة المدى ، الكثيرة الهموم ، الثقيلة الأعباء ، التى تحف من حولها المكاره والشرور " (١) كما أن القصص القرآنى يهدف إلى بيان العِظات والعِبر التى تدعو العقلاء إلى التفكر والتدبر والعبرة كما قال جل شأنه : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الأَلْبَابِ ﴾ (٢) ، ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٣) .

ومما لاشك فيه " أن مفهوم القصة فى القرآن الكريم يختلف عن مفهوم القصة البشرية بما فيها من ضوابط ، وما لها من أهداف ، فالقصة القرآنية ليست أثراً فنياً يقاس بمقاييس الفن القصصى ، إنما هى عرض لأحداث تاريخية حقيقية وقعت فى زمن معين ، ومع أشخاص معينين ، تساق

---

(١) مع القرآن الكريم فى دراسة مستلهمة على النجدى ناصف – ط / دار المعارف ص ١٩ .
(٢) سورة يوسف من الآية (١١١) .
(٣) سورة الأعراف من الآية (١٧٦) .

لأغراض دينية تلف وتدور حولها ، وهذه الأحداث ليست من نسج الخيال ، ولا من بنات العقول ، ولا من تصورات الأوهام ، إنها حقائق ثابتة ، ووثائق تاريخية صادقة ، تنبئ بما وقع فى الزمان من أحداث عظام ، وتشهد على أهله ومواقفهم منها : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ – آل عمران – من الآية ٦٢ " (١) .

وبذلك فإن القصة القرآنية " لا ترمى إلى أداء غرض فنى طليق كما هو الشأن فى القصة الفنية الحرة ، وإنما هى وسيلة من وسائل القرآن الكريم الكثيرة إلى أغراضه الدينية ، والقرآن الكريم كتاب دعوة دينية قبل كل شئ والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها " (٢) .

وقد وردت القصة فى القرآن الكريم لأغراض مختلفة من أبرزها :-

١- إثبات الوحى والرسالة فعرض قصص السابقين على رسول الله – ﷺ – وهو لم يكن كاتباً ولا قارئاً ولا عُرف عنه أنه جلس إلى أحبار اليهود والنصارى يدل على أن القرآن الكريم وحى يوحى ، والقرآن الكريم ينص على هذا الغرض نصاً فى مقدمات بعض القصص أو فى ذيولها حيث جاء فى أول سورة يوسف : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ الآية [٣] .

---

(١) خصائص النظم القرآنى فى قصة إبراهيم عليه السلام – د / الشحات أبو ستيت – ط / الأمانة ص ٧ ، ٨ .

(٢) التصوير الفنى فى القرآن الكريم – سيد قطب – ط / دار المعارف ص ١١٩ بتصرف يسير .

وجاء فى سورة " هود " عليه السلام بعد قصة " نوح " عليه السلام : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ الآية [٤٩] .

٢- بيان أن الدين كله من عند الله عز وجل من عهد نوح - عليه السلام - إلى عهد محمد - ﷺ - وأن المؤمنين كلهم أمة واحدة والله الواحد رب الجميع ، وكثيراً ما وردت قصص عدد من الأنبياء مجتمعة فى سورة واحدة لتؤيد هذه الحقيقة وذلك على نحو ما جاء فى سورة الأنبياء حيث عرضت السورة لعددٍ كثيرٍ من الأنبياء من بينهم موسى وهارون وإبراهيم ونوح وداود وسليمان ... وغيرهم عليهم الصلاة والسلام .

ثم ختمت السورة هذا الاستعراض الطويل للأنبياء بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ الآية [٩٢] ، لتؤكد على أن الدين كله من عند الله جل شأنه وأن المؤمنين كلهم أمة واحدة .

٣- بيان أن وسائل الأنبياء فى الدعوة موحدة وأن استقبال قومهم لهم متشابهة ، وأن الدين قائم على أساس واحد ، ومما يؤكد ذلك أنه كانت ترد قصص كثيرة من الأنبياء مجتمعة أيضاً ، مكررة فيها طريقة الدعوة ، على نحو ما جاء فى سورة " هود " عليه السلام : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٥) ﴾ ﴿ أَن لاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٢٦) ﴾ ﴿ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا .... (٢٧) ﴾ إلخ إلى أن يقول سُبحانه : ﴿ يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ .... (٢٩) ﴾ وإلى أن يقولوا له : ﴿ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣٢) ﴾ إلخ ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا

لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ... (٥٠) ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ ... فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ ...(٥٥) ﴾ إلخ .

﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ..... (٦١) ﴾ إلى قوله عز وجل : ﴿ وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ...(٦٢) ﴾ إلخ .

٤- بيان أن الله تعالى ينصر أنبياءه فى النهاية ويهلك المكذبين ، وذلك تثبيتاً لمحمد - ﷺ - وتأثيراً فى نفوس من يدعوهم إلى الإيمان : ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ هود [١٢٠] وتبعاً لهذا الغرض كذلك ترد قصص الأنبياء مجتمعة ، مختومة بمصارع مَنْ كذبوهم كما جاء فى سورة " العنكبوت " : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ..... (١٤) ﴾ إلى قوله عز وجل : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠) ﴾ ، وتلك هى النهاية الواحدة للمكذبين .

٥- تصديق التبشير والتحذير ، وذلك كالذى جاء فى سورة " الحجر " : ﴿ نَبِّىءْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ (٥٠) ﴾ فتصديقاً لهذا وذلك جاءت القصص على النحو التالى : ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (٥١) إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلاَمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ (٥٢) قَالُواْ لاَ تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلاَمٍ عَلِيمٍ (٥٣) ﴾ إلخ وفى هذه القصة تبدو الرحمة .

ثم : ﴿ فَلَمَّا جَاء آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (٦١) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٦٢) قَالُواْ بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ (٦٣) وَأَتَيْنَاكَ بَالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٦٤) فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (٦٥) وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاء مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ (٦٦) ﴾ إلخ " ، وفى هذه القصة تبدو " الرحمة " فى جانب لوط عليه السلام ، ويبدو " العذاب الأليم " فى جانب قومه المهلكين .... وهكذا يصدق الإنباء ، ويبدو صدقه فى هذا القصص الواقع .

٦- بيان نعمة الله – عز وجل – على أنبيائه وأصفيائه كقصص سليمان وداود وأيوب وإبراهيم ومريم وعيسى وزكريا ويونس وموسى عليهم السلام ، فكانت ترد حلقات من قصص هؤلاء الأنبياء تبرز فيها النعمة فى مواقف شتى ويكون إبرازها هو الغرض الأول .

٧- تنبيه أبناء آدم عليه السلام إلى غواية الشيطان ، وإبراز العداوة الخالدة بينه وبينهم منذ أبيهم آدم عليه السلام ، وإبراز هذه العداوة عن طريق القصة أروع وأقوى ، وأدعى إلى الحذر الشديد من كل هاجسة فى النفس تدعو إلى الشر ، وإسنادها إلى هذا العدد والذى لا يريد بالناس الخير ! " (١) .

٨- بيان العظات والعبر والنصائح التى تكمن فى هذا القصص لمعرفتها والانتفاع بها : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾ يوسف من الآية [١١١] .

ومن خلال تلك الأغراض المختلفة للقصة فى القرآن الكريم يتضح لنا قيمة القصص القرآنى وقدره وأهميته فى إبراز وتصوير الماضى الذى عاشه

---

(١) التصوير الفنى فى القرآن الكريم – سيد قطب – ص ١٢٠ : ص ١٢٧ بتصرف يسير .

السابقون من الأنبياء والشعوب والجماعات المختلفة ، والقصـــة القرآنيـــة لا يجوز أن يؤخذ عليها أنها لا تتناول القصة من كل أطرافها وجوانبها ولا أنها غير متسلسلة الأحداث ولا موصولة الأجزاء لا يرتبط بعضها ببعض " ذلك أن القرآن الكريم يأخذ من القصة ما يحقق أهدافه من التهذيب والوعظ وغير ذلك ، فحينما يقص القصة كلها محبوكة الأطراف، موصولة الأجزاء مرتبطاً بعضها ببعض فى تسلسل واتساق يسلمك السابق منها إلى لاحقه حتى تصل إلى خاتمتها كما فى سورة يوسف عليه السلام ، وفى معظم الأحيان يأخذ من القصة بعضها ، لأن فى هذا البعض ما يحقق الهدف ، وقد يلمح القـــرآن الكـــريم ويشير إلى القصة تلميحاً يستغنى به عن الإطالة اعتماداً علـــى أن القصـــة معروفة مشهورة " (١) .

والقصص القرآنى منه " ما يرتبط بالزمان والمكان كقصص الأنبياء ، وما قبل الزمان ، كقصة الخلق ، وهبوط آدم من الجنة ، وما هو بعد الزمان كبعض المشاهد الأخروية نعيماً أو عذاباً " (٢) .

" أما طريقة عرض القصص فقد وفرت لها ما يجعلها قويـــة التـــأثير والفعالية كأسلوب الإيحاء والإيجاز فمن خصائص القصـــة القرآنيـــة تلـــك الفجوات بين المشاهد والحلقات يملؤها الخيال ، ويتابعها فى شغف ، وهذا فن الاستهواء " (٣) .

ومن خلال حديثنا عن القصة القرآنية يبرز موضـــوع التكـــرار فـــى القصص القرآنى ، وهو موضوع مهم أثاره العلماء منذ القِدم ونـــال مـــنهم

---

(١) من بلاغة القرآن الكريم – د / أحمد بدوى – ص ٢٧٧ .
(٢) البلاغة القرآنية عند الإمام الخطابى – د / صبَّاح دراز – ط / الأمانة – ص ٩٢ .
(٣) السابق ص ٩٤ .

عناية خاصة فالإمام الباقلانى يرى أنه من دلائل إعجاز القرآن الكريم : فإن إعادة ذكر القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدى معنى واحداً من الأمر الصعب ، الذى تظهر به الفصاحة ، وتتبين به البلاغة ، وأعيد كثير من القصص فى مواضع مختلفة على ترتيبات متفاوتة ، ونبهوا بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأ به ومكرراً ولو كان فيهم تمكن من المعارضة لقصدوا تلك القصة وعبروا عنها بألفاظ لهم تؤدى تلك المعانى ونحوها وجعلوها بإزاء ما جاء به ، وتوصلوا بذلك إلى تكذيبه وإلى مساواته فيما جاء به " (١) .

وقد أوضح العلامة الزركشى عدة أمور تتعلق بالأسرار الخاصة بتكرار القصص القرآنى ومنها : أن القرآن الكريم يكرر القصة لفائدة خلت عنها فى الموضع الآخر ، وأنه إذا كرر القصة زاد فيها شيئاً ، ألا ترى أنه ذكر الحيَّة فى عصا موسى عليه السلام فى قوله تعالى : ﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ طه [٢٠] ، وذكرها فى موضع آخر ثعباناً وذلك فى قوله تعالى : ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ الأعراف [١٠٧] ، وقوله عز وجل : ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ الشعراء [٣٢] ففائدته أن ليس كل حية ثعباناً ، وهذه عادة البلغاء أن يكرر أحدهم فى آخر خطبته أو قصيدته كلمة ، لصفة زائدة ، كما أن إبراز القصة فى فنون كثيرة وأساليب مختلفة لا يخفى ما فيه من الفصاحة ، وفضلاً عن هذا فإن الله تعالى أنزل القرآن الكريم ، وعجز القوم عن الإتيان بمثل آية لصحة نبوة محمد ﷺ ثم بيَّن وأوضح الأمر فى عجزهم ، بأن كرر ذكر القصة فى مواضع ،

---

(١) إعجاز القرآن الكريم للباقلانى ص ٦١ ، ٦٢ .

إعلاماً بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأىّ نظم جاءوا ، وبأى عبارة عبَّروا " (١) .

كما ذكر الإمام السيوطى أن " البدر بن جماعة " ألَّف كتاباً سماه " المقتنص فى فوائد تكرير القصص " وذكر فى فوائده :-

- أن فى كل موضع زيادة شئ لم يذكر فى الذى قبله ، أو إبدال كلمة بأخرى لنكتة ، وهذه عادة البلغاء .
- أن الرجل كان يسمع القصة من القرآن الكريم ، ثم يعود إلى أهله ثم يهاجر بعده آخرون يحكون ما نزل بعد صدور مَنْ بعدهم فلولا تكرار القصص لو وقعت قصة موسى عليه السلام إلى قوم ، وقصة عيسى عليه السلام إلى آخرين ، وكذا سائر القصص ، فأراد الله تعالى اشتراك الجميع فيها ، فيكون فيه إفادةُ لقوم وزيادة تأكيد لآخرين .
- أنه تعالى أنزل هذا القرآن ، وعجز القوم عن الإتيان بمثله ، ثم أوضح الأمر فى عجزهم بأن كرَّرَ ذكر القصة فى مواضع إعلاماً بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثلِه بأى نظم جاءوا وبأى عبارة عبَّروا .
- أنه لما تحداهم قال : ﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ البقرة [٢٣] ، فلو ذكرت القصة فى موضع واحد ، واكتفى بها لقال العربى : ائتونا أنتم بسورة من مثله ، فأنزلها سبحانه فى تعداد السور دفعاً لحجتهم من كل وجه .
- أن القصة الواحدة لما كررت كان فى ألفاظها فى كل موضع زيادةُ ونقصان ، وتقديم وتأخير ، وأتت على أسلوب غير أسلوب الأخرى ، فأفاد ذلك ظهور الأمر العجيب فى إخراج الأمر الواحد فى صورة متباينة

---

(١) البرهان فى علوم القرآن الكريم للزركشى – ط / دار التراث ٣/٢٥ : ٢٧ بتصرف يسير .

فى النظم ، وجذب النفوس إلى سماعهم لما جُبلت عليه من حب التنقل بين الأشياء المتجددة ، واستلذاذها بها ، وإظهار خاصة القرآن الكريم ، حيث لم يحصل – مع ذلك التكرير فيه – هُجْنةٌ فى اللفظ ، ولا ملل عند سماعه ، فبايَنَ بذلك كلام المخلوقين " (١) .

ومن الأقوال السابقة نستنبط أن التكرار فى القصص القرآنى يعد من الوجوه السامية للبلاغة القرآنية ، كما أنه من أقوى الوسائل لتحقيق التحدى للعرب وعجزهم التام عن الإتيان بمثل هذا القرآن الكريم حيث أوضح الله تعالى الأمر فى عجزهم بأن كرر ذكر القصة فى مواضع إعلاماً بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأى نظم جاءوا وبأى عبارة عبّروا وفى هذا مزيد من التحدى والإعجاز . فضلاً عن تعميم الفائدة لجميع الناس ذلك أن الرجل كان يسمع القصة من القرآن الكريم ثم يعود إلى أهله ، ويأتى بعده آخرون ، فلولا تكرار القصص لو وقعت قصة موسى عليه السلام ، وقصة عيسى عليه السلام إلى آخرين وكذا كل القصص فأراد الله – عز وجل – أن يشترك الجميع فيها فيكون فيه إفادة لقوم ، وفى الوقت نفسه زيادة تأكيد لآخرين وهم الحاضرون ثم إن القصة الواحدة عندما تكرر يكون فى ألفاظها فى كل موضع زيادة ونقصان ، وتقديم وتأخير وتباين فى نظمها وعرضها ، وذلك يؤدى إلى جذب النفوس إلى سماعها لأن النفوس جُبِلتْ على حُب التنقل بين الأشياء المتجددة والتلذذ بها . كما يدل – أيضاً – على خاصة القرآن الكريم حيث لم يقع مع ذلك التكرار هُجْنةٌ فى لفظه ولا اضطراب فى أسلوبه ولا ملل من سماعه .

---

(١) معترك الأقران فى إعجاز القرآن الكريم للسيوطى – ط / دار الكتب العلمية – ١/٢٦٣ ، ٢٦٤ .

(ثانياً : أصحاب الكهف ([١]))

– **نشأتهم** : ذكر المؤرخون والمفسرون أن أصحاب الكهف كانوا يعيشون فى " بلد يقال له " أبْسُس " بفتح الهمزة وسكون الباء وضم السين ، وهى بلد من ثغور طرسوس بين حلب وبلاد أرمينية وأنطاكية " ([٢]) .

ولقد أخبرنا القرآن الكريم بأن أصحاب الكهف كانوا مجموعة من الفتية ([٣]) المؤمنة بربهم عز وجل لقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ الكهف من الآية [١٣] . فلم يكونوا من الشيوخ الضعفاء أو مجموعة من النساء ، وأن الله – عز وجل – زادهم إيماناً وهُدى من عنده فالله – جل وعلا – يزيد المؤمن إيماناً ويعينه على الطريق ما دام إيمانه صحيحاً قوياً مصداقاً لقول الحق سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ محمد [١٧] " ([٤]) .

– **هجرتهم** : ظل هؤلاء الفتية على إيمانهم الراسخ بربهم وعبادتهم المخلصة لله عز وجل فى وقت شاع فيه الكُفر والباطل بين قومهم ، ولقد حاول حُكامهم أن يصرفوهم عن دينهم بكل ما استطاعوا حتى أنهم توعدوهم بالقتل والهلاك إلا أن ذلك لم يزدهم إلا إيماناً على إيمانهم وثباتاً على دينهم

([١]) الكَهْفُ : كالمغارة فى الجبل إلا أنه أوسعُ منها ، فإذا صَغُرَ فهو غَارٌ ، وفى الصَّحاح: الكهف : كالبيت المنقُور فى الجبل ، وجمْعُهُ كهُوفٌ . اللسان مادة : كهف .

([٢]) تفسير التحرير والتنوير – للطاهر بن عاشور ٢٦١/١٣ .

([٣]) الفتيةُ : جمع فتى وهو الشابُّ الكامل الجزْلُ من الرجال – اللسان ٣٣٤٧/٥ ، وأسماء فتية أصحاب الكهف أعجمية لا تنضبط بشكل ولا نقط والسند فى معرفتها ضعيف . تفسير البحر المحيط ١٠١/٦ .

([٤]) سورة الكهف للشيخ الشعراوى – ط / أخبار اليوم ص ٩ .

لأن الله جل شأنه قد ربط على قلوبهم وثبتهُمْ على إيمانهم وقالوا لن نـــدعوا من دونه إلهاً لقد قلنا إذا شططا كما صرح بذلك القرآن الكريم : ﴿ وَرَبَطْنَـــا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِـــهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴾ الكهف [١٤] .

وخلص هؤلاء الفتية إلى أنفسهم يتشاورون فيما يفعلون وكيف يفرون بدينهم ؟! فكان قرارهم هو الهجرة من بلادهم فحملوا زادهم وفارقوا أوطانهم وهاجروا بدينهم ، " ولمحهم كلبٌ فى الطريق ، فسارَ فى إثـــرهم ، وتعلـــق بهم ، لم يَرَوْ بأساً فى أن يرافقهم يصحبهم أو يحرسهم ، ومـــا زالـــوا فـــى سيرهم حتى انتهوا إلى الكهف ، وهناك وجدوا ثماراً فأكلوا وماءً فشـــربوا ، ثم اضطجعوا قليلاً ليُبْرِدُوا أقدامهم ، ويعيدوا ما ذهب من عافيتهم فى أثنـــاء سيرهم ، ولكنهم ما لبثوا أن أحسُّوا إغفاءة خفيفة داعبت جفونهم ، ثم أسلمت رءوسهم إلى الأرض فى نوم عميق " (١) .

- **إقامتهم فى الكهف ورقودهم فيه** : تعاقبت الأيام ومضت الأعـــوام " والفتية راقدون والنوم مضروب على آذانهم ، والكَرىَ معقود بأجفانهم ، لا تزعجهم زمجرةُ الرياح ولا يوقظهم قصفُ الرعود ، تطلع الشمس فتنفذ إلى الكهف من كُوَّته فتمنحه الضوء والحرارة ، ولكن أشعتها لا تصـــل إلـــيهم ، وتغرب فتميل وتبتعد ، تحقيقاً لما أراد الله تعالى من حفظ أجســـادهم وبقـــاء جثثهم ، ولو اطلع مطلع عليهم لرآهم يتقلبون مرة ذات اليمين وأخـــرى ذات الشمال ، وقد تغيرت حالهم ، يبعثون الرعب فيمن يراهم ، والهـــول فـــيمن يطلع عليهم " (٢) .

---

(١) قصص القرآن الكريم – ط / دار التراث ص ٢٧٧ .

(٢) قصص القرآن الكريم : ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

– **بعثهم من رقودهم وخروجهم من الكهف** : لقد ظل هـؤلاء الفتيـة رقوداً فى كهفهم مدة طويلة من الزمن بلغت ثلاثمائة وتسع سنين كما جـاء فى القـرآن الكريـم : ﴿ وَلَبِثُـوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَـاثَ مِائَـةٍ سِـنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾ الكهف [٢٥] . ثم بعثهم الله جلت قدرته وأيقظهم بقدرته من رقودهم الطويل ليسأل بعضهم بعضاً عن مدة لبثهم فى الكهـف ليعتبـروا ويعرفـوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم ويستدلوا علـى قـدرة الله – عـز وجـل – ويشكروه على عنايته بهم ورعايته لهم طيلة بقائهم فـى الكهـف وبعـد أن تساءلوا بينهم عن مدة رقودهم فى الكهف قال أحدهم : " دعونا من تساؤلكم ، فالله أعلم بما لبثتم ، ولكننى أحِسُّ الجوع شديداً ، كأنى لم أطعم منذ ليـال ، فليذهب واحد منكم إلى المدينة ، يلتمس لنا طعاماً وليكن حذراً لبيبـاً فطنـاً أريباً ، حتى لا يعرفه أحد ، ولا يفطن إليه إنسان ، إنهم لو ظهروا علينـا ، وعرفوا مكاننا يقتلوننا أو يفتنونا فى ديننا فخرج إلى المدينـة واحـد مـنهم يلتمس الطعام وهو خائف حذر ، وما راعه إلا تغيير فى معالمها ، وانقلاب مبانيها ، هذه خرائب أضحت قصوراً وتلك قصور أمست خرائب وأطلالاً ، وتلك وجوه لم يعرفها ، وصور لم يألفها . حتى قال له واحد من سكان هـذه المدينة : أغريب أنت عن هذا البلد ؟ وفيم تتأمل ؟ وعمَّ تبحث ؟ قال : لست غريباً ، ولكننى أبحث عن طعام أشتريه ، فلا أرى مكان بيعه وأخذ الرجـل بيده حتى انتهى به إلى صاحب طعام ، وأخرج صاحب الكهـف دراهمـه ، ونَقَدها التاجر ، أى أعطاه إياها ، وما راع التاجر إلا أن رأى نقوداً ضُربت من نحو أكثر من ثلاثمائة عام ، فحسب أنه عثر على كنز ، وأن مـن وراء دراهمه دراهم كثيرة أموالاً عظيمة ، فاجتمع الناس من حوله فقال يا قـوم ، ليس الأمر كما زعمتم ، وليست هذه النقود كما توهمتم ، وإنما هى دراهـم قد وقعت لى فى بعض معاملتى مع الناس بالأمس ، وأنا أشترى بها طعامى

اليوم فما يدعوكم إلى الدهشة ، ثم همَّ بالعودة خشية أن يفتضح أمره ، ولكنهم عادوا فرفقوا به ، وتلطفوا معه فى القول ، وما كان أشد ذهولهم حينما علموا أنه أحد الفتية الأشراف الذين هربوا من تسع وثلاثمائة سنة من ملكهم الجائر الكافر ، وما كان أشد خوف الرجل حينما علم أنهم فطنوا لأمره ، وعرفوا قصته ، فخاف على نفسه وإخوانه ، وهمَّ بالهروب . وقال دعونى أذهب إلى صحبى فى الكهف ، أحدثهم عن شأنى وشأنهم ، فربما يكون قد طال انتظارهم واشتد قلقهم " (١) .

- **نهايتهم** : " حينما سمع ملك مدينتهم بأمرهم أسرع إلى لقائهم ، وسعى إلى كهفهم ، فرأى فيهم قوماً أحياءً تشرق بالحياة وجوههم ، وتجرى الدماء فى عروقهم فصافحهم وعانقهم ، ودعاهم إلى قصره والإقامة فى داره ، فقالوا : وما نبغى بالحياة ، وقد مات الحفيد والولد ، وعفت الدار والسكن ، وانقطع ما بيننا وبين الحياة من أسباب ؟ ثم توجهوا إلى الله تعالى طالبين أن يختارهم لجواره ، وأن يشملهم برحمته ، وما هو إلا ارتداد الطرف حتى وقعوا أجساداً لا حياة فيها . أما القوم فقالوا : لعل الله تعالى أعثرنا عليهم ، لنعلم أن وعد الله سبحانه حق ، والبعث صدق ، والساعة آتية لا ريب فيها ، ثم تنازعوا أمرهم بينهم ، ﴿ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ الكهف من الآية [٢١] " (٢) ليكون هذا المسجد إكراماً لهم بعد موتهم ، غفر الله تعالى لهم ورحمهم رحمة واسعة إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) قصص القرآن الكريم : ص ٢٧٨ : ٢٨٠ بتصرف يسير .
(٢) قصص القرآن الكريم ص ٢٨٠ .

مظاهر القدرة الإلهية فى هذه القصة

إن المتأمل فى قصة أصحاب الكهف يلاحظ أنها تشتمل على الكثير من الدلائل والمظاهر الخارقة للعادة التى إن دلت على شئ فإنما تدل على طلاقة قدرة الله عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ فاطر من الآية [٤٣] .

– **وأول تلك المظاهر الباهرة** هو أن الله عز وجل ألقى على أصحاب الكهف النعاس أو النوم فى كهفهم مدة طويلة من الزمن لقوله جل شأنه : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ الكهف [١١] ، ثم بيَّن سبحانه وتعالى بعد ذلك مدة لبثهم ونومهم فى الكهف بقوله تعالى : ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾ الكهف [٢٥] ، أى لبثوا مدة ثلاثمائة وتسع سنين .

فقوله تعالى فى الآية الأولى : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ ﴾ كناية عن الإنامة الثقيلة – كما يقول العلامة الألوسى – لأن النوم الثقيل يستلزم عدم سمع ، لأن السمع السليم لا يحجبه لا النوم بخلاف البصر الصحيح فقد يحجب بتغميض الأجفان " (١) .

" وتخصيص الآذان هنا بالذكر لأنها الجارحة التى منها عظم فساد النوم ، وقلَّما ينقطع نوم نائم إلا من جهة أذنه ، ولا يُستحكم نوم إلا من تعطل السمع " ، كما يقول العلامة القرطبى " (٢) .

" فالإنسان حين يريد أن ينام فإنه محتاج إلى هدوء كامل حوله لأن كل أعضاء الجسد تنام ما عدا الأذن فهى متيقظة لا تنام أبداً ، وهى آلة

---

(١) تفسير روح المعانى – ط / دار الفكر – ٢١٢/١٥ .

(٢) تفسير القرطبى – ط / دار الكتب العلمية ٢٣٦/١٠ .

الاستدعاء من النوم إلى اليقظة فإذا أردت إيقاظ النائم وقرَّبْتَ يدك من عينه حتى تلمسهما قد لا يشعر وإذا وضعت يدك عليه قد لا يحس لكنك إذا أحدثت صوتاً عالياً بجوار أذنه أحسَّ واستيقظ على الفور ، وإذا كان الصوت عالياً ومفاجئاً فإنه قد يستيقظ منزعجاً ، ولذلك فإن الله – سبحانه وتعالى – قد جعل الضوضاء تختفى فى الليل ليعُمَّ السكون مصداقاً لقوله تبارك وتعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ يونس من الآية [٦٧] .

ثم إن " من عادة الإنسان أن ينام يوماً أو بعض يوم ، وأقصى ما يمكن أن يقوله الإنسان إنه نام يوماً أو بعض يوم وأصحاب الكهف عندما استيقظوا من نومهم بعد أن بعثهم الله تعالى بقدرته بعد هذه الإنامة الطويلة وهو ما يعد كذلك من دلائل وطلاقة قدرته عز وجل كان السؤال الذى سأله بعضهم لبعض هو : كم كانت مدة نومهم ؟ فقالوا : ﴿ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ... ﴾ الكهف من الآية [١٩] .

كما أخبرنا الله سبحانه وتعالى فى قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ..... ﴾ الكهف من الآية [١٩] .

وقوله الحق سبحانه وتعالى : ﴿ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ يدلنا على أن الحق – تبارك وتعالى – أوقف تأثير الزمن عليهم فكانوا فى هذه الفترة خارج الزمن لم يحسُّوا بوقت نومهم ، وهذا أمر طبيعى فالنائم لا يُحسُّ بالزمن ، ولا يعرف كم ساعة نامها إلا إذا كان قد عرف متى بدأ النوم ، ثم نظر إلى الساعة عندما استيقظ . أو أن يكون قد نام والدنيا نهار وضوء الشمس ساطع ليستيقظ والدنيا ظلام أو العكس أى أنه لابد أن يكون عنده مقياس خارج نفسه يدله على الزمن وإلا فإنه لا يعرف كم ساعة نامها .

وأصحاب الكهف كان عندهم مقياس خارج أنفسهم وهو أن يروا تأثير الزمن على أجسادهم فلو أنهم كانوا تحت تأثير الزمن وناموا فترة طويلة ثم قاموا ونظر بعضهم إلى بعض ، لوجدوا أن شعرهم الأسود قد ابـــيضَّ وأن التجاعيد قد ملأت وجوههم وأيديهم ، وأن قوتهم قد ضاعت وتبدلت ضعفاً ، وأن أقدامهم لا تستطيع أن تحملهم .. إلخ ، ولكن الله عز وجل أبطل بالنسبة إليهم هذا المقياس الزمنى فأصبحوا غير خاضعين لتأثيرات الزمن ، ولهـــذا عندما قاموا ونظر بعضهم لبعض وجدوا أن هيئتهم كما هى لم تتغير ، ورأوا أنفسهم فى الصورة الشابة التى ناموا عليها ، ولم يلحظـــوا أىَّ تغييـــر فـــى وجوههم أو أجسادهم بل وجدوا صورتهم كما هى فاعتقدوا أنه لـــم يمـــض عليهم أكثر من ساعات وهم رقود فى الكهف " (١) .

- **وثانى تلك المظاهر المعجزة** : هو أن الله جلت قدرته أحاط أصحاب الكهف بعنايته وحفظه ورحمته فالشمس إذا أشرقت كانت تميل عن كهفهـــم إلى جهة اليمين ، وإذا غربت كانت تترك كهفهم وتمر بهم إلى جهة الشـــمال فلا تصيبهم لا فى ابتداء النهار ولا فى آخره حتى لا تؤذيهم بحرِّها ولهيـــب أشعتها ، وتُغير ألوانهم وتُبلى ثيابهم مع كونهم فى وسط الكهف فـــى مكـــان واسع مفتوح معرَّض لإصابة الشمس ، وعن تلك الآية المعجزة التى لا تدل إلا على طلاقة قدرته عز وجل يقول سبحانه : ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَـــت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّـــا مُّرْشِدًا ﴾ الكهف [١٧] .

---

(١) سورة الكهف للشيخ الشعراوى - ص ١٣ : ١٥ بتصرف .

- **وثالث تلك المظاهر الباهرة يكمن فى قوله عز وجل :** ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ... ﴾ الكهف من الآية [١٨] أى أن أجساد أصحاب الكهف كانت تُقلب – بقدرته جل شأنه – تارة من اليمين إلى الشمال وتارة من الشمال إلى اليمين كما يتقلب النائم حتى لا تأكلهم الأرض وتُبلى ثيابهم من طول مكثهم على جانب واحد ، وذلك أيضاً من طلاقة قدرته عز وجل وفضل عنايته بهم وحفظه لهم ، " وهكذا أعطانا الله – سبحانه وتعالى – فى القرآن الكريم ما لم يصل إليه الطب إلا حديثاً فالأطباء يطلبون من أهل المريض غير القادر على الحركة أن يقلبوه يميناً ويساراً حتى لا يصاب جسده بقرحة الفراش التى تسبب له أضراراً بالغة " (١) .

- **ورابع تلك المظاهر المعجزة :** " هو أن الله – جل شأنه – قد أخفى عنا كل شئ عن أصحاب الكهف ما عدا قصتهم فأخفى المكان وأخفى الزمان وأخفى أسماءهم بل وأخفى عددهم ، والحكمة من هذه الإخفاءات هى أن الله – سبحانه وتعالى – يريد أن يُشيع عمومية الحدث فى كل الأزمان والأمكنة ، فلو أن الله جل جلاله عرَّفنا زمنهم لقيل : هذه خصوصية زمان إن هذا كان يحدث فى الماضى ولكنه لا يحدث الآن ، ولو أنه سبحانه عرَّفنا مكانهم لقيل : إن هذه خصوصية مكان ، ولو أعلمنا سبحانه أشخاص أصحاب الكهف لقيل : إنها خصوصية أشخاص ، وإن فلاناً وفلاناً كانا من الصالحين فأعطاهما الله تعالى ما لم يُعْط أحداً من العالمين . بل وأكثر من ذلك أخفى الله – جل شأنه – عدد أصحاب الكهف حتى لا نعطى هذا العدد أىَّ معنى مقدس فيقال : إن عددهم كان كذا وهذا عدد له معان كثيرة ، وهكذا أخفى الله – جل وعلا – عنَّا كل هذه الأشياء ليلفتنا إلى أن هذه القصة يمكن

---

(١) سورة الكهف ص ١٧ .

أن تحدث فى أىّ زمان وفى أىّ مكان ، ولأىّ عدد من الفتية المؤمنين الذين يفرون بدينهم من طغيان الكفر فهؤلاء تشملهم رحمة الله تعالى فيعطيهم سبحانه سعة الرزق ، وسعة المكان ، ويجعل الزمان يمر عليهم وهو لا يُحسُّون بأى تعب أو معاناة أو أى شئ آخر يقلقهم أو يضرهم ، وهذا يحدث فى كل زمان ومكان " (١) .

وأصحاب الكهف لم يرد ذكرهم فى القرآن الكريم إلا فى سورة الكهف ، وذلك من الآية التاسعة إلى الآية السادسة والعشرين حيث يقول تبارك وتعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٥) وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا (١٦) وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا (١٧) وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا (١٨) وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ

---

(١) سورة الكهف ص ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ بتصرف يسير .

قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (١٩) إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (٢٠) وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا (٢١) سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاء ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا (٢٢) وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (٢٤) وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٦) ﴾

صدق الله العظيم

والآن إلى تحليل تلك الآيات الكريمة ، وتجلية بعض خصائصها التعبيرية وأسرارها البلاغية ،

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ هود من الآية [٨٨].

قال الله – عز وجل – " ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢) ﴾ **الكهف الآيات ٩ : ١٢ .**

– **بين يدى هذه الآيات** : فى هذه الآيات الكريمة يبدأ القرآن الكريم حديثه عن قصة أصحاب الكهف بطريق التلخيص والإجمال حيث عرض الجوانب الرئيسية لهذه القصة ، فذكر أن أصحاب الكهف كانوا مجموعة من الفتية لا يُعلم عددهم ، وأنهم آمنوا بربهم جلَّ وعلا وآووا إلى كهفٍ فى أحد الجبال فراراً بدينهم من الكفرة الطغاة وقد دعوا الله تعالى أن يرحمهم ويجعلهم راشدين مهتدين ، وبعد أن دخلوا الكهف أنامهم الله – عز وجل – فيه سنين معدودة ، ثم بعثهم جلت قدرته من رقودهم الطويل ليتبين للفريقين المتجادلين فى شأن مدة لبثهم فى الكهف أيهما أدق إحصاءً لما لبثوا أمداً ، وهذه القصة على غرابتها ليست بأعجب آيات الله – عز وجل – فالمتأمل فى ثنايا هذا الكون يرى من الغرائب والعجائب ما يفوق قصة أصحاب الكهف .

وكلمة " **الرقيم** " التى وردت فى صدر هذه الآيات اختلف العلماء والفقهاء فى بيان معناها بل إن بعضهم لم يعلم معناها وهو عبد الله بن عباس – رضى الله عنهما – " فقد روى عكرمة – رضى الله عنه – عن ابن عباس – رضى الله عنهما – أنه قال : كل القرآن أعلمه إلا أربعة غِسلين وحنَّان والأواه والرقيم " (١) ويعنى رضى الله عنهما بهذه الكلمات تلك التى وقعت

---

(١) تفسير الطبرى ١٣٢/٨ ، وتفسير القرطبى ٢٣٢/١٠ ، وتفسير الرازى ٨٣/٢١ .

فى سورة الحاقة ، ومريم ، والتوبة ، وهود ، والكهف .

فكلمة " **غِسلين** " وردت فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴾ الحاقة [٣٦] .

وردت كلمة " **حَنَان** " فى قوله عز وجل : ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ مريم [١٣] .

بينما وردت كلمة " **الأواه** " فى موضعين : الأول قوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ التوبة من الآية [١١٤] ، والثانى قوله جل شأنه : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴾ هود [٧٥] .

وأخيراً كلمة " **الرقيم** " التى جاءت فى قوله سبحانه : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ الكهف [٩] .

وقد اجتهد أهل التأويل فى إيضاح معنى كلمة " **الرقيم** " حيث ذهب فريق منهم إلى أن " الرقيم " لوحٌ من حجارة ، وقيل من رصاص كتبت فيه أسماء أصحاب الكهف وقصتهم ، ووُضع ذلك اللوح على باب الكهف ، وهذا قول جميع أهل المعانى والعربية قالوا الرقيم الكتاب ، والأصل فيه المرقوم ، ثم نقل إلى فعيل والرقم الكتابة ومنه قوله تعالى : " كتاب مرقوم " أى مكتوب " (١) ، وبهذا يكون أصحاب الكهف والرقيم طائفة واحدة .

ويرى فريق آخر أن " الرقيم " طائفة أخرى غير أصحاب الكهف ، وقد جرى لهم ما جرى لأصحاب الكهف ، ولكن لم يخبر الله – عز وجل –

---

(١) تفسير الطبرى ١٣٢/٨ ، وتفسير الرازى ٨٣/٢١ ، وتفسير التحرير والتنوير ٢٦٠/١٣ .

عنهم بشىء " (١) ، وعلى هذا يكون أصحاب الكهف والـرقيم طـائفتين أو جماعتين من الناس .

والرأى الأول هو الأَوْلَى بالصواب كما يقول العلامة الطبرى رحمـه الله تعالى " (٢) .

والله تعالى أعلم

- مناسبة مطلع قصة أصحاب الكهف لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَـا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَـا عَلَيْهَـا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ ﴾ :-

من الملاحظ أن هناك اتصالاً وثيقاً وارتباطاً بين مطلع هذه القصة " أم حسبت أن أصحاب الكهف ... عجباً " وقوله جل شأنه : " إن جعلنا ما على الأرض زينة لها ... جرزاً " ، " ووجه هذا الارتباط يكمن فـى أن قصـة أصحاب الكهف مع كونها خارقة للعادة إلا أنها ليست بعجيبة بالنسـبة إلـى سائر الآيات الدالة على قدرة الله عز وجل ، والتى من جملتها ما تقدم فـى قوله تعالى : " إنا جعلنا ما على الأرض ... جرزاً " فإن مَنْ كان قادراً على تخليق السماوات والأرض ثم تزيين الأرض بأنواع المعادن والنبات والحيوان ثم يجعلها بعد ذلك صعيداً جرزاً خالية عن الكل كيف يُسـتبعد مـن قدرتـه ورحمته حفظ طائفة من الناس مدة ثلاثمائة سنة وأكثر فى النوم ، فإن تلـك الآيات الباهرات أعظم وأعجب من إنامة أصحاب الكهف تلـك المـدة ثـم

---

(١) تفسير روح المعانى ٢١٠/١٥ ، وتفسير القرطبى ٢٣٢/١٠ ، وتفسير البحر المحيط ١٠١/٦ .

(٢) تفسير الطبرى ١٣٢/٨ .

إيقاظهم فمن لا يتعجب من تلك الآيات لا ينبغى عليه أن يتعجب من آية أصحاب الكهف " (١) .

- أسرار النظم وبلاغياته فى هذه الآيات : قال جل شأنه : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ يكاد المفسرون أن يجمعوا على أن " أم " فى هذه الآية الكريمة هى " أم " المنقطعة المقدرة " ببل والهمزة " ، والتقدير " بل أحسبت " ؟ أى تضمنت - هنا - الإضراب الانتقالى من الحديث عن آيات الله تعالى فى الأرض وتزيينها ... إلخ إلى الحديث عن قصة أصحاب الكهف ثم الاستفهام عن آية أصحاب الكهف وقصتهم العجيبة .

ومما يدل على أن " أم " المنقطعة تفيد أحياناً معنى بل والهمزة معاً أن " العلامة ابن هشام ذكر أن ابن الشجرى نقل عن جميع البصريين أن " أم " المنقطعة تكون بمعنى بل والهمزة جميعاً " (٢) .

واختلف المفسرون فى معنى الاستفهام فى الآية فذهب فريق منهم إلى أنه بمعنى الإنكار ، وقد وجهه العلامة أبو السعود إلى أمة النبى - ﷺ - حيث قال " والمراد إنكار حسبان أمته " (٣) ولعله ذهب إلى ذلك تأدباً مع النبى ﷺ .

ويرى بعض المفسرين " أن هذا الاستفهام بمعنى التقرير والإنكار ، ومعنى الكلام - كما يقول العلامة الطبرى - هو تقرير للنبى - ﷺ - على حسبانه أن أصحاب الكهف كانوا عجباً بمعنى إنكار ذلك عليه أى لا

---

(١) تفسير الفخر الرازى ٨٢/٢١ ، ٨٣ ، وتفسير روح المعانى ٢٠٩/١٥ بتصرف .
(٢) مغنى اللبيب لابن هشام - ط / دار إحياء الكتب العربية ٤٣/١ .
(٣) تفسير أبى السعود ٣٦٢/٣ .

يعظم ذلك بحسب ما عظمه عليك السائلون من الكفرة فإن سائر آيات الله تعالى أعظم من قصتهم وأشيع ، وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن إسحاق (١) .

وقد ذكر شيخنا الأستاذ الدكتور عبد العظيم المطعنى " أن الإمام ابن عطية نقل عن العلامة الزهراوى أن الاستفهام فى هذه الآية الكريمة ليس للإنكار بل هو للتنبيه والتشويق وإثارة الذهن نحو المستفهم عنه ، وهذا الرأى هو أوجه ما قيل فى هذا الموضع – كما يقول شيخنا الدكتور المطعنى – ومن مرجحاته أن الرسول – ﷺ – لم يكن يعلم شيئاً عن قصة أصحاب الكهف قبل نزولها عليه فى القرآن الكريم بعد أن سأله المشركون عنها بدليل أنه أرجأ الإجابة على هذا السؤال انتظاراً لما سينزل به الوحى . وهذا يُسلِمُنا إلى حقيقة مهمة ، هى أن الرسول – ﷺ – كان خالى الذهن من قصة أصحاب الكهف فهو – إذاً – لم ير أنها أعجب من غيرها حتى يكون الاستفهام للإنكار عليه . فكيف يستقيم القول بأن الاستفهام فى " أم حسبت " لإنكار حسبان النبى – ﷺ – أعجبية قصة أصحاف الكهف على ما عداها من آيات الله تعالى ؟ ثم لو كان الأمر كذلك – لجاء " عجباً " على صيغة أفعل التفضيل " أعجب " وهذا لم يرد فى النظم الحكيم " (٢) .

وأُوثرت " أم " على " الهمزة وهل " فى قوله تعالى : ﴿ أَحَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ ... الآية ﴾ لأن " أم " تفيد العطف مع تضمنها الاستفهام ، وهذا العطف المفاد منها أدَّى معنى فخيماً هو الربط بين ما قبلها ، وما بعدها ، وهذا الربط المحكم بين جزئى الكلام لا يتحقق بهل أو الهمزة " (٣) .

---

(١) تفسير القرطبى ١٠/٢٣١ ، وتفسير البحر المحيط ٦/١٠١ .
(٢) التفسير البلاغى للاستفهام فى القرآن الحكيم ٢/٢٣٤ .
(٣) السابق ٢/٢٣٤ ، ٢٣٥ بتصرف يسير .

" والخطاب فى قوله عز وجل ﴿ أَمْ حَسِبْتَ ﴾ لسيد المخاطبين محمد – ﷺ – أى أم حسبت يا محمد ؟ وذلك باتفاق أغلب المفسرين " (١) .

" وقيل الخطاب للسامع ، والمراد المشركون أى قل لهم : أم حسبتم ... الآية " ، والظن قد يقام مقام العلم فكذلك حسبت بمعنى علمت " (٢) .

" والتعبير بكلمة " أصحاب " فى هذه الآية الكريمة أبلغ من كلمة " أهل " الشائعة بين الناس ، لأن " الصحبة " تقتضى الملازمة التامة . وهو المطابق للواقع فى قصة أصحاب الكهف حيث لم يفارقوا كهفهم خلال تلك المدة الطويلة " (٣) .

ووصفت آية أصحاب الكهف بالمصدر " عجباً " للمبالغة فى كونها عجيبة فى نفسها وشأنها ، ومع هذا فهى ليست أعجب من سائر الآيات الأخرى التى من جملتها ما تقدم فى قوله عز وجل : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (٨) ﴾ الكهف الآية ٧ ، ٨ .

قال عز وجل : ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ قوله تعالى " الفتية " إظهار فى مقام الإضمار لأن مقتضى الظاهر أن يقال : " إذا أووا " فعدل عن ذلك " لتحقيق ما كانوا عليه فى أنفسهم من حال الفتوة فقد روى أنهم كانوا شباناً من أبناء أشراف الروم وعظمائهم مطوقين مسورين بالذهب " (٤) .

---

(١) تفسير الطبرى ١٣٠/٨ ، وأبى السعود ٣٦٢/٣ ، وروح المعانى ٢٠٨/١٥ وغيرهم .
(٢) تفسير البحر المحيط ١٠١/٦ .
(٣) التفسير البلاغى للاستفهام فى القرآن الحكيم ٢٣٥/٢ :
(٤) روح المعانى ٢١١/١٥ ، وأبو السعود ٣٦٣/٣ .

" وذكر أصحاب الكهف بهذا الوصف " الفتية " للإيماء إلى ما فيه من اكتمال خُلق الرجولية المعبر عنه بالفتوة الجامع لمعنى سداد الرأى ، وثبات الجأش والدفاع عن الحق " (١) ، ولذلك أوثر التعبير بهذا الوصف على التعبير بالإضمار .

" وتقديم المجرورين " من لدنك " ، و " من أمرنا " على المفعول الصريح " رحمة " و " رشداً " لإظهار الاعتناء بهما وإبراز الرغبة في المؤخر بتقديم أحواله . فإن تأخير ما حقه التقديم عما هو من أحواله المرغبة فيه كما يورث شوق السامع إلى وروده ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة ، وكذا الكلام في تقديم قوله تعالى : " من لدنك " على " رحمة " على تقدير تعلقه " بآتنا " وتقديم " لنا " على " من أمرنا " للإيذان من أول الأمر بكون المسئول مرغوباً فيه لديهم أو اجعل أمرنا رشداً كله على أن " مِنْ " تجريدية " (٢) .

قال جلا وعلا : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ﴾ " حُذف مفعول " ضربنا " لظهوره ، وتقدير الكلام : أنه تعالى ضرب عليهم حجاباً يمنع من أن تصل إلى أسماعهم الأصوات الموقظة " (٣) .

وفي قوله عز وجل : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ ﴾ " كناية عن الإنامة الثقيلة لأن النوم الثقيل يستلزم عدم السمع ، لأن السمع السليم لا يحجبه إلا النوم بخلاف البصر الصحيح فقد يحجب بتغميض الأجفان " (٤) .

---

(١) التحرير والتنوير ٢٦٦/١٣ .
(٢) روح المعاني ٢١١/١٥ ، وأبو السعود ٣٦٣/٣ .
(٣) التحرير والتنوير ٢٦٨/١٣ .
(٤) روح المعاني ٢١٢/١٥ ، والتحرير والتنوير ٢٦٨/١٣ .

" وإنما صلُح كناية لأن الصوت والتنبيه طريق من طرق إزالة النـــوم فسد طريقه يدل على استحكامه ، وأما الضرب على العين وإن كان تعلقه بها أشد فلا يصلح كناية إذ ليس المبصرات من طرق إزالته حتى يكـــون ســـد الأبصار كناية ، ولو صلح كناية فعن ابتداء النوم لا النومة الثقيلة " (١) .

" وأما تخصيص الآذان بالذكر فلأنها الجارحة التى منها عظم فســـاد النوم ، وقلَّما ينقطع نوم نائم إلا من جهة أذنه ، ولا يُستحكم نـــوم إلا مـــن تعطل السمع " (٢) .

" وهذه الكناية من فصيحات القرآن الكريم وخصائصه التى لـــم تكـــن معروفة قبل هذه الآية الكريمة ، وهى من الإعجاز التـــى أقـــرت العـــرب بالقصور عن الإتيان بمثله " (٣) .

" وقيل إن فى قوله جل شأنه : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَـــى آذَانِهِـــمْ ﴾ اســـتعارة تصريحية تبعية حيث شبُهت الإنامة الثقيلة بضرب الحجاب على الآذان " (٤) بجامع منع وصول الأصوات إلى الآذان وتعطلها عن الســـمع ثـــم تُنوســـى التشبيه واستُعير المشبه به للمشبه ثم اشتُق من المشبه بـــه بمعنـــى الإنامـــة " أنمنا " أى " ضربنا " على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ، والمراد كما يقول العلامة الألوسى : " أنمناهم إنامة ثقيلة لا تنبههم فيها الأصوات " (٥) ، ومن ثمَّ فهذه الاستعارة تفيد المبالغة فى وصفهم بشدة الاستغراق فى النوم .

---

(١) روح المعانى ٢١٢/١٥ .

(٢) القرطبى ٢٣٦/١٠ .

(٣) القرطبى ٢٣٦/١٠ ، والتحرير والتنوير ٢٦٨/١٣ .

(٤) الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين ٧/٣ .

(٥) روح المعانى ٢١٢/١٥ .

قال جل شأنه : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا[١٢] ﴾ .

قوله تعالى : " بعثناهم " استعارة تصريحية تبعية حيث شبه إيقاظُ أصحاب الكهف من نومتهم ببعث الموتى وإحيائهم بعد موتهم بجامع الإيقاظ والإحياء بعد الثبوت والسكون ثم تُوسى التشبيه ، واستُعير المشبه به للمشبه ثم اشتُق من المشبه به بمعنى الإيقاظ " أيقظنا " أى " بعثنا " على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ، والمراد ثم أيقظناهم من نومهم ، " وحسَّن هذه الاستعارة هنا أن المقصود من هذه القصة إثبات البعث بعد الموت فكان فى ذكر لفظ البعث تنبيه على أن فى هذه الإفاقة دليلاً على إمكان البعث وكيفيته " (١) .

---

(١) التحرير والتنوير ٢٦٩/١٣ .

قال جل شأنه : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) رَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٥) وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا (١٦) ﴾ الكهف الآيات ١٣: ١٦.

- **بين يدى هذه الآيات** : بعد أن عرضت الآيات السابقة قصة أصحاب الكهف بطريق الإجمال والتلخيص جاءت هذه الآيات الكريمة وما بعدها لتفصل أحداث هذه القصة ، وتعرض مشاهدها بشكل تفصيلى ويبدأ هذا التفصيل بقوله تعالى مخاطباً نبيه - ﷺ - ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ﴾ أى نحن يا محمد نقص عليك خبر أصحاب هذه القصة بالصدق واليقين الذى لاشك فيه إنهم فتية أى مجموعة من الشباب آمنوا بربهم عز وجل ، وزدناهم إلى إيمانهم بربهم إيماناً وهداية وبصيرة بدينهم حتى صبروا على هجران ديار قومهم ، ومفارقة أهلهم ، وترك زينة الدنيا واختيار طاعة الله عز وجل ، وشددنا على قلوبهم بنور الإيمان فإذا هى ثابتة راسخة حين قاموا بين يدى ملكهم الجبار " دقيانوس " فقالوا له - إذ عاتبهم على تركهم عبادة آلهته - " ربنا رب السموات والأرض " أى رب هذا الكون كله ولن نترك عبادته أبداً ، ولن نعبد من دونه إلهاً سواه لأننا إذا فعلنا ذلك لتجاوزنا الحق وحُدنا عن الصواب ثم يلتفت هؤلاء الفتية فيستنكرون ما عليه قومهم من عقيدة ضالة فاسدة باتخاذهم الأصنام آلهة يعبدونها من دونه عز وجل ، دون أن يأتون على عبادتهم لهذه الآلهة بحجة ظاهرة على كونها

آلهة تستحق العبادة ، ولعدم تمكنهم من ذلك فلا يجب أن يُلتفت إلى دعـــواهم الباطلة الخاسرة التى تُعد افتراء على الله عز وجل وكذباً ، وليس هناك أظلم ممن افترى على الله تعالى كذباً .

وبعد أن هجر هؤلاء الفتية ديارهم وفارقوا أهلهم قيل لهم إذا كنتم قـــد اعتزلتم قومكم وتركتم ما يعبدونه إلا الله جل شأنه فصـــيروا إلـــى الكهـــف واجعلوه مأوىً لكم تقيمون فيه ، وسيجعل الله – عز وجل – هـــذا الكهـــف فسيحاً رحيباً تنتشر فيه رحمته عليكم ولا تشعرون فيه بضيق ووحشة وظلام كما ييسر لكم سبحانه من أمركم الذى أنتم بصدده من الفـــرار بالـــدين مـــا ترتقون به وتنتفعون . ، واستدل بهذه الآية الكريمة على عِظم وحُسن منزلة الهجرة لسلامة الدين وقُبح المقام فى دار الكفر إذا كان المقام فيها لا يمكن إلا بإظهار كلمة الكفر .

والله تعالى أعلم

– أسرار النظم وبلاغياته فى هذه الآيات :

قال تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُـــوا بِـــرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) ﴾ .

صُدرت هذه الآية الكريمة بتقديم المسند إليه " نحن " على الخبر الفعلى " نقص " وذلك لإفادة التخصيص ، والمراد : نحن لا غيرُنا يقص عليك خبر هؤلاء الفتية بالحق أى بالصدق واليقين الذى لا ريـــب فيـــه ، وفـــى هـــذا التخصيص تأكيد قاطع على أن الإخبار عن قصتهم أمر لا يُشك فى صـــدقه لأن المخبر هو الله جل شأنه : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً (١٢٢) ﴾ النساء .

وفى قوله عز وجل : ﴿ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُـــمْ فِتْيَـــةٌ آمَنُـــوا بِرَبِّهِمْ ... ﴾ التفات من التكلم فى قوله " نحن نقص " إلى الغيبة فـــى قولـــه

" آمنوا بربهم " لأن الاسم الظاهر من قبيل الغيبة ومقتضى الظاهر أن يقال : " آمنوا بنا " .

وهذا الالتفات يفيد " الإشعار بعلية وصف الربوبية لإيمانهم ولمراعاة ما صدر عنهم من المقالة حسبما سيحكى عنه " (١) .

وكذلك فهناك التفات من ضمير الغيبة فى قوله جل شأنه " بربهم " إلى ضمير التكلم فى قوله تعالى: " وزدناهم " وقوله فى الآية التالية " وربطنا " ، وأوثر الالتفات هنا لما فى لفظة " نا " من العظة والجلال والاقتدار .

قال عز وجل : ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) ﴾ .

فى قوله جل شأنه : " وربطنا " استعارة تصريحية تبعية حيث استُعير الربط وهو الشد بالحبل لتقوية الإيمان وتثبيته وتمكينه فى قلوبهم بجامع تثبيت الشئ وتمكينه والتحكم فيه فى كلٍ والمراد : ثبتْنَا قلوبهم وقَوَّيْناها بالصبر على هجر الأهل والأوطان والأموال فلم يزعجها الخوف والفزع من ملكهم الجبار " دقيانوس " وعُدِّى الفعل " ربطنا " بحرف الاستعلاء " على " للمبالغة فى الربط والشدِّ والتمكن من الفعل ، " و الدلالة على كون الربط والتقوية مستولياً على قلوبهم مستقراً عليها " (٢) .

وأُوثر حرف النفى " لن " فى قوله تعالى : ﴿ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِ إِلَهًا ﴾ لأن النفى بها أبلغ من النفى بغيرها حتى قيل إنه يفيد استغراق الزمان فيكون المعنى لا نعبد أبداً من دونه إلهاً أى معبوداً آخر لا استقلالاً ولا اشتراكاً

---

(١) تفسير أبى السعود ٣/٣٦٧ .

(٢) حاشية الشيخ زاده على البيضاوى ٣/٢٥١ .

وعدلوا عن قولهم " ربًّاً " إلى قولهم " إلهاً " للتنصيص على رد المخالفين حيث كانوا يسمون أصنامهم آلهة وللإشعار بأن مدار العبادة وصف الألوهية وللإيذان بأن ربوبيته تعالى بطريق الألوهية لا بطريق المالكية المجازية (١).

قال جل شأنه : ﴿ هَؤُلَاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٥) ﴾ .

عبَّر أصحاب الكهف عن قومهم فى صدر هذه الآية الكريمة باسم الإشارة " هؤلاء " الموضوع للقريب لقصد تحقير قومهم والإشارة إلى دنو منزلتهم وانحطاط شأنهم ، وذلك لاتخاذهم آلهة من دون الله عز وجل فنزلوا انحطاط مكانتهم ودنو قدرهم منزلة قرب المكان أو المسافة .

ويرى شيخنا الأستاذ الدكتور / عبد العظيم المطعنى أن إضافة " قوم " إلى ضمير المتكلمين " نا " فى " قومنا " للتسجيل " على قومهم بعد تعريفهم باسم الإشارة ، ثم بإضافتهم إلى ضميرهم ولو كان النظم قد خلا من هذه الإضافة فقيل : هؤلاء قوم ، لفات معنيان بلاغيان ، هما : الأول : توهم حمل الكلام على غيرهم والثانى : جواز الطعن فى حُكم الفتية عليهم بالإشراك ، أما مع الإضافة فيكون الحكم خالصاً من كل شائبة لأن الفتية حكموا على قوم يعرفونهم تمام المعرفة ، فحكمهم – بهذا الاعتبار – مؤسس على خبرة قوية " (٢) .

---

(١) تفسير روح المعانى ٢١٨/١٥ ، ٢١٩ وأبى السعود ٣٦٨/٣ .

(٢) التفسير البلاغى للاستفهام فى القرآن الحكيم – د / عبد العظيم المطعنى ٢٣٦/٢ ، ٢٣٧ .

وقوله تعالى حكاية عن أصحاب الكهف : ﴿ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَـةً ﴾ خبر عن اسم الإشارة " هؤلاء " وهو إخبار فيه معنى الإنكار على قومهم لاتخاذهم من دونه عز وجل آلهة ، ومن ثمَّ فلا يُقصد بهذا الخبر إفادة المخاطب شيئاً يجهله أو إفادته بأن المتكلم عالم بهذا الخبر وهو ما يُسمى " بلازم الفائدة " وذلك لأن اتخاذ قومهم آلهةً من دون الله تعالى أمرٌ معلومٌ للمخاطبين وللمتكلمين على السواء فهذا الكلام من قول أصحاب الكهف فيما بينهم وهم جميعاً عالمون بأن قومهم مشركون بالله عز وجل وفى ضلال مبين .

وتنكير " آلهة " للتحقير والتكثير فهى أصنام حقيرة الشأن كثيرة العدد لا تملك لنفسها ولا لمَنْ يعبدونها ضرًّاً ولا نفعاً .

وقوله جل شأنه : " لولا يأتون " تحضيض فيه معنى الإنكار والتعجيز لقومهم إذ يستحيل عليهم أن يأتوا بحجة بينة وبرهان واضح على ثبوت الإلهية للأصنام التى اتخذوها آلهة من دون الله عز وجل " (١) .

وحُذف المضاف من قوله تعالى : " عليهم " للعلم به ، وتقديره أى على ألوهيتهم أو على صحة اتخاذهم لها آلهة .

وفى قوله جل شأنه : " سلطان " استعارة تصريحية أصلية لأن المراد من " سلطان " البرهان فشُبه البرهان بالسلطان بجامع قوة النفوذ فى كل منهما (٢) .

---

(١) تفسير أبى السعود ٣٦٨/٣ ، التحرير والتنوير ٢٧٥/١٣ .
(٢) التفسير البلاغى للاستفهام فى القرآن الحكيم ٢٣٧/٢ .

" وجملة " لولا يأتون عليهم بسلطان مبين " مؤكدة للجملة التى قبلها باعتبار أنها مستعملة فى الإنكار ، لأن مضمون هذه الجملة يقوى الإنكار عليهم " (١) .

وقوله عز وجل : " بسلطان بين " تبكيت لقومهم وتنبيه على عجزهم لأن الإتيان بالسلطان البين على عبادتهم للأصنام محال ، وهذا يدل على عجزهم وفساد عبادتهم ، وفى هذا دليل أيضاً على أن الدِّين لا يؤخذ إلا بالحجة الظاهرة وبغير ذلك يكون ديناً فاسداً مردوداً .

والاستفهام فى قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا ﴾ ؟ يفيد النفى أى : لا أظلمُ ممن افترى على الله كذباً بنسبة الشريك إليه . تعالى الله عز وجل عن ذلك علواً كبيراً ، وليس المراد هنا المساواة بين الذى افترى على الله كذباً ، وبين غيره فى الظلم لأن قوله جل شأنه " فمن أظلم " يدل على نفى الزيادة فى الظلم فقط بمعنى أن الذى افترى على الله كذباً قد بلغ أقصى وأعلى درجات الظلم بحيث لا يوجد مَنْ هو أكثر منه ظلماً . أما أن يكون غيره مماثلاً له ومساوياً فى الظلم فهذا لا يدخل فى دلالة هذا القول الكريم ، وبهذا يكون المعنى المراد هنا : أن الذى افترى على الله كذباً بالإشراك به عز وجل يُعد أظلم من غيره وأظلم من كل ظالم بل لا يوجد فى هذا الوجود مَنْ هو أظلم منه ، ومن ثمَّ فلا يُغفر له إشراكه بمولاه عز وجل بدليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ النساء [٤٨] .

قال عز وجل : ﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا (١٦) ﴾ .

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ١٣/٢٧٤ .

" أل " فى الكهف إما أن تكون للعهد بمعنى أنهم أووا إلى كهف معهود عندهم كانوا يتعبدون فيه من قبل ، وإما أن تكون للحقيقة أى أنهم أووا إلى أحد الكهوف .

وحُذف مفعول " ينشر " وتقديره : أى ينشر لكم ربكم من رحمته الخير ونحوه ، ولعل السر فى هذا الحذف يرجع إلى قصد الاهتمام والعناية بإثبات النشر والبسط لله عز وجل دون التعرض للمفعول .

" وتقديم " لكم " فى قوله جل شأنه : ﴿ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾ للإيذان من أول الأمر بكون المؤخر من منافعهم والتشويق إلى وروده ، والظاهر أنهم قالوا هذا ثقة بفضل الله تعالى وقوة فى رجائهم لتوكلهم عليه سبحانه ونصوع يقينهم " (١) .

---

(١) تفسير روح المعانى ٢٢١/١٥ .

قال عز وجل : ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَــن كَهْفِهِــمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَــاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ المُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَــهُ وَلِيًّــا مُّرْشِــدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْــتَ مِــنْهُمْ فِــرَارًا وَلَمُلِئْــتَ مِــنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ﴾ الكهف الآيتان [١٧ ، ١٨] .

- بين يدى هاتين الآيتين :

فى هاتين الآيتين بيان لحال أصحاب الكهف بعد ما أووا إلى الكهــف حيث أحاطهم الله تعالى بعنايته وحفظه ورحمته فالشمس حين تطلــع كانــت تميل عن كهفهم إلى جهة اليمين وإذا غربت كانت تتركهم وتمــر بهــم ذات الشمال أى شمال الكهف فلا تصيبهم لا فى ابتداء النهار ولا فى آخره حتــى لا تؤذيهم بحرّها وتغير ألوانها وتُبلى ثيابهم مع كونهم فى وسط الكهف فــى مكان واسع مفتوح معرَّض لإصابة الشمس لولا أن الله عز وجــل يحجبهــا عنهم بقدرته ، وحجب الشمس عنهم طيلة النهار إنما يعد آية من آياته سبحانه وتعالى الدالة على كمال وطلاقة قدرته وعنايته ورحمته بأوليائه الذين اهتدوا واتبعوا دين الحق ، ومن يدله سبحانه إلى الحق ويوفقه لما يحبــه ويرضــاه مثل أصحاب الكهف فهو الفائز بالحظ الأوفر فى الدارين الدنيا والآخــرة ، ومن يخلق فيه الضلال لصرف اختياره إليه فلن تجد له أبداً ناصراً ومرشداً يهديه إلى الحق ويخلصه من الضلال ، وأصحاب الكهف حين تــراهم فــى كهفهم تحسبهم أيقاظاً متنبهين وهم رقود نائمون فى الحقيقة وتُقلب أجسامُهُم - بقدرته تعالى - تارة من اليمين إلى الشمال وتارة من الشمال إلى اليمــين كما يتقلب النائم حتى لا تأكلهم الأرض وتُبلى ثيابهم من طول مكثهم علــى

جانب واحد ، وذلك أيضاً من طلاقة قدرته عز وجل وفضل عنايته بهم وحفظه لهم ، كما ترى كلبهم الذى ذهب معهم إلى الكهف قد وضع ذراعيه وبسطهما فى مدخل الكهف شأن جِلسة الكلب كأنه يحرسهم ، وهم فى هيئتهم هذه يثيرون الرعب والفزع فى قلب من يشاهدهم ويطلع عليهم فلا يستطيع حينئذ إلا أن يهرب ويفر خوفاً وهلعاً منهم .

والله تعالى أعلم

- **أسرار النظم وبلاغياته فى هاتين الآيتين :**

قال عز وجل : ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ... ﴾ الآية .

يلاحظ من السياق القرآنى لهذه الآية الكريمة وما تقدم عليها أن هناك كلاماً لم يُصرح به فى هذا السياق دلَّ عليه قوله تعالى : ﴿ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ ... إلخ ﴾ والتقدير كما يقول العلامة أبو حيان : فأووا إلى الكهف فألقى الله تعالى عليهم النوم واستجاب دعاءهم حين قالوا ربنا آتنا ... إلخ وأرفقهم فى الكهف بأشياء من بينها أنك ترى الشمس إذا طلعت ... إلخ (١) . وحذف هذه الجمل يعد ضرباً من الإيجار بالحذف الواقع بين التراكيب أعنى بين قوله تعالى : ﴿ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ ... إلخ ﴾ ، وقوله عز وجل : ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ .... إلخ ﴾ ولعل الغرض من هذا الحذف يرجع إلى أن القرآن الكريم – كما يقول العلامة الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز – يستثمر دائماً برفق أقلَّ ما يمكن من اللفظ فى توليد أكثر ما يمكن من المعانى " (٢) فضلاً عن وضوح هذه الجمل المحذوفة وفهمها من خلال السياق القرآنى الكريم .

---

(١) تفسير البحر المحيط ١٠٧/٦ .

(٢) النبأ العظيم – د / محمد عبد الله دراز – ط / دار طيبة ص ١٥٨ .

وإيثار التعبير بالفعل المضارع " تزاور " ، و " تقرض " للدلالة على استمرار وتكرر ميل الشمس عن كهفهم فى طلوعها وغروبها كل يوم .

وفى قوله جل شأنه : ﴿ تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ ﴾ إيجاز بالحذف دلَّ عليه النظم الحكيم حيث حُذف الموصوف وأُقيمت الصفة مقامه ، وهى قوله تعالى : ﴿ ذَاتَ الْيَمِينِ ﴾ ، و ﴿ ذَاتَ الشِّمَالِ ﴾ ، والتقدير : " تزاور عن كهفهم جهة ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم جهة ذات الشمال " والمراد يمين الكهف وشماله أى يمين وشمال الداخل للكهف . والإشارة بـ " ذلك " فى قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ﴾ تفيد التعظيم أى التنويه بعظمة وجلال تلك الآية الباهرة التى هى من آيات طلاقة قدرته عز وجل وعنايته وحفظه لمن اهتدى من عباده . وأُوثر التعبير بصيغة الكثرة " رقود " على جمع المذكر السالم " راقدون " فى قوله عز وجل ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ للمبالغة فى وصف هؤلاء الفتية بشدة الاستغراق فى النوم ، وهذا يتفق مع المعنى المراد من الآية المتقدمة ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ مما يدل على أن شدة النوم واستغراقه هو الآية المعجزة فى أحداث قصة أصحاب الكهف .

وإيثار التعبير بالمضارع " نقلب " فى قوله تعالى : ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ﴾ للدلالة على استمرار وتجدد تقليبهم فى رقادهم حفظاً لأبدانهم .

وفى إسناد التقليب إلى الله جل شأنه إشارة إلى مزيد اعتناء الله عز وجل بهم وحفظه لهم ، وأنه تعالى هو الفاعل لذلك التقليب بقدرته وعزته .

وفى قوله تعالى : ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴾ إيجاز بالحذف ، والتقدير : ونقلبهم جهة ذات اليمين وجهة ذات الشمال والمراد : يمينهم وشمالهم .

وقوله تعالى : ﴿ فِرَارًا ﴾ يجوز أن يكون منصوباً على المصدر من معنى الفعل قبله لأن التولى والفرار من واد واحد ويجوز أن يكون مصدراً فى موضع الحال أى فاراً ويكون حالاً مؤكدة " (١) .

وفى قوله تعالى : ﴿ وَلَمُلِئْتَ ﴾ استعارة تمثيلية فكون الرعب يملأ الصدر مجاز . لأن الملء هو كون المظروف حالاً فى جميع فراغ الظرف بحيث لا تبقى فى الظرف سعة لزيادة شئ من المظروف . وفى هذه الاستعارة مُثِّلت الصفة النفسية وهى الرعب والخوف بالمظروف ، ومُثِّل عقل الإنسان وقلبه بالظرف ، والمعنى – والله تعالى أعلم – أنه مُثِّل تمكن الخوف والرعب من نفس المطلع عليهم بحيث لا يخالط نفسه تفكير فى غير هذه الصفة بملء الظرف بالمظروف امتلاءً تاماً بحيث لا تبقى فى الظرف سعة لزيادة شئ من المظروف " (٢) .

ولعل هذه الاستعارة من قبيل " تمثيل ما ليس بمرئى حتى يصير مرئياً فينتقل السامع من حدِّ السماع إلى حدّ العيان وذلك أبلغ فى البيان " (٣) .

---

(١) الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين ١٣/٣ .

(٢) تفسير التحرير والتنوير – بتصرف ٢٨٢/١٣ .

(٣) البرهان فى علوم القرآن الكريم للزركشى ٤٣٣/٣ .

قال جل شأنه : ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (١٩) إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (٢٠) ﴾ الكهف الآيتان [١٩ ، ٢٠] .

- بين يدى هاتين الآيتين :

يقول الحق جل وعلا فى صدر هاتين الآيتين ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا ... إلخ ﴾ أى أننا بعثنا هؤلاء الفتية وأحييناهم بعد أن أنمناهم وحفظناهم بقدرتنا تلك المدة الطويلة فى الكهف ، وذلك ليسأل بعضهم بعضاً فيتعرفوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم فيزدادوا يقيناً بكمال قدرته تعالى ويشكروه سبحانه على ما أنعم به عليهم ، وكان تساؤلهم عن مدة لبثهم فى الكهف حيث قال قائل منهم لأصحابه كم لبثتم ؟ فأجابه أصحابه بأنهم لبثوا يوماً أو بعض يوم ظناً منهم أن رقدتهم لم تكن طويلة فقال آخرون منهم ربكم أعلم بما لبثتم أى لا تعلمون مدة لبثكم وإنما يعلمها الله علام الغيوب ، وبعد ذلك شعروا بالجوع والحاجة إلى الطعام فقال بعضهم أرسلوا أحدكم بهذه النقود التى خرجنا بها من المدينة ليشترى منها أطيب الطعام ، وأن يكون ذلك فى سرٍ وكتمانٍ كى لا يَشعرُ بنا أحد من أهل المدينة ويعلم بوجودنا فى الكهف لأنهم إذا عرفوا مكاننا جاءوا إلينا فرجمونا وقتلونا أو ردونا وأعادونا كُرها إلى دينهم وملتهم ، وإذا دخلنا فى ملتهم فلن نفوز بخير وفلاح أبداً لا فى الدنيا ولا فى الآخرة .

والله تعالى أعلم

- أسرار النظم وبلاغياته فى هاتين الآيتين :

قال جل شأنه : ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (١٩) ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ ﴾ أى وكذلك أيقظناهم " والكاف فى " وكذلك " للتشبيه ، والإشارة بـ " ذلك " إلى المصدر المفهوم مما تقدم وهو قوله سبحانه " فضربنا على آذانهم " أى أنمناهم إنامة طويلة ، والمعنى كما أنمناهم هذه الإنامة الطويلة وهى المفهومة مما مر وهو " أيقظناهم " فالمشبه الإيقاظ والمشبه به الإنامة المشار إليها ووجه الشبه كون كل منها آية دالة على كمال قدرته الباهرة عز وجل " (١) .

وبهذا ففى قوله عز وجل ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ ﴾ تشبيه حيث شُبه إيقاظهم وبعثهم بعد تلك الإنامة بإنامتهم هذه المدة الطويلة الشبيهة بالموت والمفهومة من قوله تعالى : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ ﴾ ، وذلك فى كون كل من : " الإنامة الطويلة التى تُشبه الموت ، والبعث " آية تدل على طلاقة قدرته عز وجل المعجزة الباهرة ، والغرض من هذا التشبيه هو بيان إمكان المشبه وهو البعث والإحياء بقوة وقدرة الله العزيز القدير الذى يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير .

واللام فى قوله تعالى : ﴿ لِيَتَسَاءلُوا ﴾ متعلقة بالبعث فقيل هى للصيرورة لأن بعثهم لم يكن لنفس تساؤلهم ، والصحيح أنها للسببية أى بعثناهم ليسأل بعضهم بعضاً ويتعرَّفوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم فيعتبروا

---

(١) تفسير البحر المحيط ١١٠/٦ ، وروح المعانى ٢٢٩/١٥ .

ويستدلوا على عظم قدرة الله تعالى ويزدادوا يقيناً ويشكروا ما أنعم الله بـــه عليهم وكُرموا به " (١) .

وجملة ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ ﴾ فُصلت عما قبلهـــا ﴿ بَعَثْنَـــاهُمْ ﴾ لأنهـــا استئناف بيانى لأن النفس تتطلع بعد سماعها الجملة الأولى إلى ما دار بينهم من تساؤل فجاءت جملة ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ ﴾ جواباً على ذلك التطلع " (٢) .

وفى قوله تعالى : ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ ﴾ إيجاز بالحذف والتقدير : كم يوماً لبثتم بدليل جوابهم ﴿ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا ﴾ .

" وأُسند الجواب إلى ضمير جماعتهم " نا " : إما لأنهم تواطأوا عليه ، وإما على إرادة التوزيع ، أى منهم من قال : لبثنا يوماً ، ومنهم من قـــال : لبثنا بعض يوم . وعلى هذا يجوز أن تكون " أو " للتقسيم فى القـــول بـــدليل قوله تعالى بعد ذلك ﴿ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾ أى لما اختلفـــوا رجعـــوا فعدلوا عن القول بالظن إلى تفويض العلم إلى الله تعالى ، وذلك مـــن كمـــال إيمانهم " (٣) .

وقوله جل شأنه : ﴿ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ كناية عن قِصر المدة حسب تصورهم ، وتنكير " يوماً " إشارة إلى ذلك القِصر الذى تصـــوروه ، وفيـــه إيجاز بحذف العامل لأن التقدير : " لبثنا يوماً " (٤) .

ونلحظ فى قوله جل شأنه : ﴿ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِـــرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ أن جملة وليتلطف ، وُصلت بما قبلهـــا

---

(١) الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين ١٤/٣ ، تفسير البحر المحيط ١١٠/٦ .
(٢) التفسير البلاغى للاستفهام فى القرآن الحكيم ٢٤٠/٢ .
(٣) التحرير والتنوير ٢٨٤/١٣ .
(٤) التفسير البلاغى للاستفهام فى القرآن الحكيم ٢٤٠/٢ .

" فلينظر " لما بين الجملتين من التوسط بين الكمالين لأنهما متفقتان في الإنشائية لفظاً ومعنى فكلتاهما أمر ، وكذلك وُصِلت جملة " ولا يُشعرنَّ " بما قبلها " وليتلطف " لنفس السبب السابق إلا أن جملة " وليتلطف " أمر ، وجملة " ولا يشعرن " نهى والأمر والنهى من الإنشاء .

وقد أُكد النهى " ولا يُشعِرنَّ " بنون التوكيد الثقيلة للتحذير من عواقبه التى تضمنها قوله عز وجل : ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ .

قال عز وجل : ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ ﴾ وقع تعليلاً للأمر بالتلطف فى شراء الطعام ، والنهى عن فعل ما يؤدى إلى أن يشعر به أحد من المدينة .

" وتقديم احتمال الرجم على احتمال الإعادة لأن الظاهر من حالهم هو الثبات على الدين المؤدى إليه وضمير الخطاب فى المواضع الأربعة فى قوله تعالى : " بكم ، عليكم ، يرجموكم ، يعيدوكم " للمبالغة فى حمل المبعوث على الاستخفاء وحث الباقين على الاهتمام بالتوصية فإن إمحاض النصح أدخل فى القبول واهتمام الإنسان بشأن نفسه أكثر وأوفر " ([1]) .

وقوله سبحانه : " أبداً " ظرف للمستقبل كله . وهو تأكيد لما دلَّ عليه النفى بـ " لن " من التأبيد أو ما يقاربه " ([2]) .

([1]) تفسير أبى السعود ٣٧٢/٣ بتصرف يسير .

([2]) تفسير التحرير والتنوير ٢٨٧/١٣ .

قال عز وجل : ﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا (٢١) سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاء ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا (٢٢) وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (٢٤) ﴾ الكهف الآيات [٢١ : ٢٤] .

- بين يدى الآيات :

﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ ... إلخ ﴾ أى وكما أنمناهم هذه المدة الطويلة ثم بعثناهم كذلك أعثرنا عليهم أى أطلعنا أهل المدينة عليهم ليعلم الذين أطلعناهم على حالهم أن وعد الله تعالى بالبعث حق لاشك فيه ، ويوقنوا أن يوم القيامة كذلك حق لا ريب فى قيامه ووقوعه وقد فعلنا ذلك بهم حين تنازع المطلعون عليهم فى كيفية بعثهم ومدة مكثهم فى الكهف وجعلوا يسألونهم عما حدث لهم وبعد ذلك سقط أصحاب الكهف موتى فقال بعض من اطلع عليهم ابنوا على باب كهفهم بنياناً ليسترهم من الناس ويحفظهم من المخاطر فربهم عز وجل هو أعلم بحالهم وكيفية أمرهم بينما قال الذين غلبوا على أمرهم وبعثهم وهم أولياؤهم من المؤمنين لنتخذ عليهم مسجداً وموضعاً للعبادة والسجود يصلى المسلمون فيه ويتبركون بمكانهم .

وقد تنازع فريق من أهل الكتاب والمؤمنين فى زمن رسول الله - ﷺ - واختلفوا فى عدد أصحاب الكهف فقال بعضهم إن عددهم ثلاثة أشخاص ورابعهم كلبهم الذى انضم إليهم ، وقال آخرون هم خمسة أشخاص وسادسهم

كلبهم ظناً بالغيب من غير يقين بعددهم فى حين قالت طائفة أخرى إنهم سبعة أشخاص وثامنهم كلبهم . وهذا نزاع لا طائل من ورائه لأن العبرة فى أمرهم حاصلة بالعدد القليل وبالكثير لذلك يوجه القرآن الكريم الرسول - ﷺ - إلى ترك مجادلة هؤلاء المتنازعين فى هذا الأمر وألا يجادلهم إلا جدالاً ظاهراً لا تعمق فيه ، وهو أن يقص عليهم ﷻ ما أوحى إليه فحسب ولا يزيد ، وكذلك لا يستفت أحداً منهم فى شأنهم أى لا يسأله عن قصتهم سؤال متعنت لـــه أو سؤال مسترشد منه لأن الله عز وجل هو الأعلم بحقيقة عددهم وحـــالهم ولا يعلم ذلك من أهل الكتاب إلا عدد قليل منهم ثم ينْهَى القرآن الكريم الرسول - ﷺ - عن الحكم على غيب المستقبل وما يقع فيه فيقول جل شأنه ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ ... إلخ ﴾ أى لا تقولن لشئ تعزم على فعله فى المستقبل إلا أن تقرنه بمشيئة الله تعالى وإرادته أى تقول : إن شاء الله تعالى ســأفعل كـــذا ، لأن الإنسان لا يدرى ما يكون فى المستقبل حتى يقطع برأيه فيه وبهذا فعليـــه أن يعلم علم اليقين بأن أى شئ لا يكون ولا يتحقق فى هذا الوجود إلا بإرادتـــه سبحانه ومشيئته .

وفى ختام هذه الآيات يقول سبحانه لرسوله - عليه السلام - ﴿ وَاذْكُر رَّبَّـــكَ إِذَا نَسِيتَ ... إلخ ﴾ أى واذكر ربك جل وعلا بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت تلك المشيئة ليبعثك ذلك الذكر على تدارك ما نسيته ، وقل عسى أن يهـــديك ربك جل وعلا ويوفقك إلى شئ آخر أقرب رشداً وأظهر وأعظم فى الدلالـــة من نبأ أصحاب الكهف ، وقد فعل عز وجل ذلك حيث أتاه ﷻ من قصـــص الأنبياء وأخبار المرسلين وآثارهم ما هو أعظم وأوضح فى الدلالة من قصة أصحاب الكهف .

والله تعالى أعلم

- أسرار النظم وبلاغياته فى هذه الآيات :

قال عز وجل : ﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا (٢١) ﴾ .

نلحظ من السياق القرآنى لهذه الآية الكريمة وما سبقها وهو قوله تعالى : ﴿ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ... إلخ ﴾ أن هناك " جملاً محذوفة فى هذا السياق كما يقول العلامة أبو حيان والتقدير : فبعثوا أحدهم ونظر أيها أزكى طعاماً وتلطف ولم يشعر به أحداً فأطلع الله تعالى أهل المدينة على حالهم " (١) .

ولم يُصرح بهذه الجمل بين تراكيب ذلك النظم الحكيم للإيجاز بالحذف ، وتجنب الإطالة فى الكلام التى تتنافى مع بلاغة القرآن الكريم الذى " يستثمر دائماً اقل ما يمكن من الألفاظ فى توليد أكثر مما يمكن من المعانى " (٢) .

وفى قوله جل شأنه : ﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ تشبيه مفاد من " كذلك" على نحو ما سبق فى قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ ﴾ والمعنى : كما أنمناهم هذه المدة الطويلة وبعثناهم فكذلك أعثرنا عليهم أى أطلعنا غيرهم على أحوالهم العجيبة ، والغرض من هذا التشبيه كالغرض من سابقه فى ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ ﴾ وهو بيان إمكان بعث الموتى وإحيائهم مرة أخرى " لأن حال أصحاب الكهف فى نومتهم وانتباهتهم بعدها كحال من يموت ثم يُبعث " (٣) .

---

(١) البحر المحيط ١١٢/٦ .
(٢) النبأ العظيم ص ١٥٨ .
(٣) الكشاف ٧١١/٢ .

وفى قوله تعالى : ﴿ أَعْثَرْنَا ﴾ مجاز مرسل علاقته السببية حيث أُطلق السبب وهو العثور وأُريد المسبب وهو الإطلاع " ولما كان كل عاثر ينظر إلى موضع عثرته ورد العثور بمعنى الإطلاع والإظهار " (١) .

وبهذا فالمراد من قوله ﴿ أَعْثَرْنَا ﴾ أى " أطلعنا " .

" والفعل " أعثر " عُدِّى بالهمزة ، وحُذف مفعوله الأول لقصد العموم والشمول ، والتقدير : أعثرنا الناس عليهم أو أعثرنا أهل مدينتهم عليهم .

وفى توجيه ترتب العلم بأن وعد الله تعالى بالبعث حق وأن القيامة آتية لا ريب فيها على إطلاع الله غيرهم على أحوالهم العجيبة يقول العلامة الألوسى : " إن من شاهد أنه جل وعلا توفى نفوسهم وأمسكها ثلاثمائة سنة وأكثر حافظاً أبدانها من التحلل والتفتت ثم أرسلها إليه لا يبقى معه شائبة شك فى أن وعده تعالى حق وأنه تعالى يبعث من فى القبور فيرد عليهم أرواحهم فيحاسبهم ويجازيهم بحسب أعمالهم " (٢) .

وأُوثر المضارع " يتنازعون " فى قوله تعالى : ﴿ إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ﴾ لاستحضار حالة التنازع التى كانت بين أهل المدينة فى شأن أصحاب الكهف بعد أن أطلعهم الله تعالى عليهم .

والمراد بقوله تعالى : ﴿ أَمْرَهُمْ ﴾ أى بعثهم ، وأُضيف الأمر إلى ضمير أصحاب الكهف لاهتمام المطلعين بشأن أصحاب الكهف وحرصهم على الوقوف على حقيقة حالهم وما حدث لهم .

---

(١) تفسير روح المعانى ٢٣٢/١٥ .

(٢) تفسير روح المعانى ٢٣٢/١٥ .

وعلى دأب اختصارات القرآن الكريم نلاحظ من خلال نظم هذه الآية الكريمة التى معنا أن هناك كلاماً قد طُوى ولم يُذكر قبل قوله عز وجل : ﴿ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا ... إلخ ﴾ .

وكأنه قيل : "وكذلك أعثرنا الناس على أصحاب الكهف حين تنازعهم فى أمر البعث فتحققوا ذلك وعلموا أن هؤلاء آية من آيتنا فتوفاهم الله تعالى بعد أن حصل الغرض من الإعثار فقالوا ابنوا ... إلخ " (١) ، وقد أوضح العلامة ابن عاشور السر فى هذا الإيجار بالحذف بقوله : " طُوى هنا وصف العثور عليهم ، وذكر عودِهمْ إلى الكهف لعدم تعلق الغرض بذكره . إذ ليس موضع عبرة لأن المصير إلى مرقدهم وطروّ الموت عليم شأن معتاد لكل حى " (٢) .

وإيثار التعبير بالفعل الماضى " فقالوا " فى قوله تعالى : ﴿ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا ... إلخ ﴾ للدلالة على أن قولهم هذا ليس مما يستمر ويتجدد كشأن التنازع ونحوه .

قال جل شأنه : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاء ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا (٢٢) ﴾ .

" أُتى بسين الاستقبال فى قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ ﴾ لأن فى الكلام طياً وإدماجاً ، والتقدير : فإذا أجبتهم عن سؤالهم عن قصة أصحاب

---

(١) روح المعانى ١٥/٢٣٥ .

(٢) التحرير والتنوير ١٣/٢٨٩ .

الكهف وقصصت عليهم هذه القصة فسلهم عن عـــددهم فـــإنهم إذا ســـألتهم سيقولون " (١) .

" ولم يُؤت بالسين فى قولـــه ســـبحانه : ﴿ وَيَقُولُـــونَ خَمْسَـــةٌ ﴾ ، و ﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ ﴾ لأنه معطوف على المستقبل فدخل فى الاستقبال أو لأنه أريد به معنى الاستقبال الذى هو صالح له " (٢) .

وحُذف المسند إليه فى قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُـــمْ كَلْـــبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًـــا بِالْغَيْـــبِ وَيَقُولُـــونَ سَـــبْعَةٌ وَثَـــامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ لدلالة الكلام عليه والتقدير : " سيقولون هم ثلاثـــة رابعهـــم كلـــبهم ويقولن هم خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ويقولون هم ســـبعة وثـــامنهم كلبهم " .

وكذا حُذف تمييز العدد أو المضاف إليه لـــ " ثلاثة وخمسة وسبعة " ، والتقدير : ثلاثة أشخاص ، خمسة أشخاص ، سبعة أشخاص . ولعل السر فى هذين الحذفين – والله تعالى أعلم – يرجع إلى التزام القرآن الكـــريم جانـــب الإيجاز والاختصار ، واجتناب سبيل الإطناب والإطالة ، " وتقـــدير تمييـــز العدد هنا بـــ " أشخاص " أولى من تقديره رجال لأنـــه لا تصـــير الثلاثـــة الرجال أربعة بكلبهم لاختلاف الجنسين " (٣) .

" والواو فى قوله تعالى : ﴿ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ هى الـــواو التـــى تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعـــة حـــالاً مـــن

---

(١) الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين ١٦/٣ ، والبحر المحيط ١١٣/٦ .

(٢) البحر المحيط ١١٤/٦ .

(٣) تفسير روح المعانى ٢٤١/١٥ .

المعرفة فى نحو قولك : " جاءنى رجل ومعه آخر " ، ومنه قولـــه تعـــالى : ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾ (١) .

وعن فائدة دخول هذه الواو على تلك الجملة دون الجملتين الســـابقتين عليها وهما : ﴿ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ ، ﴿ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْـــبُهُمْ ﴾ يقـــول العلامة الزمخشرى فى سياق تحليله لهذه الآية : " وفائدتها تأكيـــد لصـــوق الصفة بالموصوف ، والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر ، وهـــذه الواو هى التى آذنت بأن الذين قالوا : سبعة وثامنهم كلبهم ، قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرجموا بالظن كما رجم غيرهم . والدليل على ذلـــك أن الله سبحانه أتبع القولين الأولين قوله ﴿ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ﴾ وأتبع القول الثالث قوله : ﴿ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (٢) .

و " رجماً " فى قوله تعالى ﴿ رَجْمًا بِالْغَيْـــبِ ﴾ اســـتعارة تصـــريحية أصلية " لأن معنى الرجم الرمى بالحجارة ونحوها واستُعير هنا ، للتكلم بما لم يطلع عليه لخفائه عنه أو لإلقاء الكلام من غير علم ولا رويـــة ولا فِكـــر فشُبه ذلك بالرمى بالحجارة التى لا تنفذ ولا تصيب غرضاً " (٣) بجامع عدم التأثير وانعدام الفائدة من الفعل فى كلٍ . بيد أن بعض المفسرين ذهبوا إلـــى غير ذلك وعلى رأسهم العلامة الزمخشرى الذى يرى أن الرجم بمعنى الظن فكأنه قيل : ظناً بالغيب ، لأنهم أكثروا أن يقولوا : رَجَم بالظن مكان قـــولهم ظنَّ حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين . ألا ترى إلى قول زهيـــر فـــى معلقته :-

---

(١) تفسير الكشاف ٢/٧١٣ .

(٢) السابق ٢/٧١٣ ، ٧١٤ .

(٣) الفتوحات الإلهية ١٣/١٦ ، وحاشية الشهاب على البيضاوى ٦/٨٨ بتصرف يسير .

وما الحربُ إلا ما علِمتُمْ وذُقْتُمُ وما هُوَ عنها بالحديثِ المُرَجَّمِ

أى الحديث المظنون " (١) .

" وقوله جل شأنه : ﴿ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم ﴾ استئناف بيانى لما يثيره قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ... إلخ ﴾ من ترقب تعيين ما يعتمد عليه من أمر عدتهم . فأجيب بأن يحال العلم بذلك على علاَّم الغيوب سبحانه وتعالى " (٢) .

" وكذلك قوله عز وجل : ﴿ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ استئناف بيانى لأن الإخبار عن الله تعالى بأنه الأعلم يثير فى نفوس السامعين أن يسألوا : هل يكون بعض الناس عالماً بعدتهم علماً غير كامل ؟ فأُجيب بأن قليلاً من الناس يعلمون ذلك ولا محالة هم من أطلعهم الله تعالى على ذلك بوحى وعلى كل حال فهم لا يوصفون بالأعلمية لأن علمهم مكتسب من جهة الله الأعلم بذلك " (٣) .

ومن ثمَّ جاء قوله تعالى ﴿ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم ﴾ مفصولاً عما قبله وكذا جاء قوله سبحانه : ﴿ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ مفصولاً عن قوله تعالى ﴿ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم ﴾ ، وذلك لشبه كمال الاتصال أو " للاستئناف البيانى " بين تلك الجمل الكريمة .

وإسناد اسم التفضيل " أعلم إلى الله تعالى يفيد أن علم الله عز وجل بعدتهم هو العلم الكامل ، وأن علم غيره مجرد ظن وحدس قد يصادف الواقع وقد لا يصادفه " (٤) .

---

(١) تفسير الكشاف ٢/٧١٣ .
(٢) تفسير التحرير والتنوير ١٣/٢٩٣ .
(٣) السابق ١٣/٢٩٣ .
(٤) السابق نفسه ١٣/٢٩٣ .

ولهذا أمر الله تعالى رسوله - ﷺ - أن يقول ﴿ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ حين اضطربوا فى عددهم لأن المثبت فى حق الله عز وجل هو الأعلمية بحقيقة عددهم ، وفى حق القليل العالمية فلا تعارض "(١). وحُذف المفعول به فى قوله جل شأنه : ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ ﴾ لدلالة الكلام عليه ، والتقدير : " فلا تمار فيهم أحداً " والغرض من هذا الحذف هو الاختصار فضلاً عن وضوح المحذوف وسهولة إدراكه من سياق النظم الحكيم .

قال عز وجل : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا * إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ .... رَشَدًا ﴾ أُكد النهى " ولا تقولن " بنون التوكيد الثقيلة للدلالة على وجوب اقتران ذكر المشيئة بلفظ " إن شاء الله تعالى " ونحوه بكل شئ تريد أن تفعله فى المستقبل لأن كل ما يقع فى المستقبل إنما هو مرهون بمشيئة الله تعالى وإرادته ، والإنسان لا يدرى ما يكون فى المستقبل حتى يقطع برأيه فيه . وتنكير " شئ " لإفادة العموم والشمول والتقدير " ولا تقولن لأى شئ ... إلخ " .

وقوله تعالى : ﴿ غَدًا ﴾ أى فيما يستقبل من الزمان مطلقاً وهو تأكيد لما يدل عليه اسم الفاعل بناء على أنه حقيقة فى الاستقبال ويدخل فيه الغد الذى بمعنى اليوم الذى يلى يومك وهو المتبادر دخولاً أولياً " (٢) .

وفى قوله سبحانه : ﴿ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ إيجاز بالحذف لدلالة الكلام عليه ، والتقدير : " إلا أن تقول إلا أن يشاء الله تعالى أو " إلا أن تقول إن شاء الله تعالى ، فالمعنى : إلا أن تذكر مشيئة الله عز وجل ، وهذا الحذف

---

(١) تفسير البحر المحيط ١١٥/٦ .

(٢) روح المعانى ٢٤٧/١٥ .

يقتضيه ظاهر الحال ومقام الكلام لتحسين ذلك الكلام الكريم " (١) .

وهذا الحُسن والجمال لا يتحقق إذا بُنى ذلك النظم الحكيم على ذكر هذا المحذوف فقيل : " وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إلا أن تقــول إلا أن يَشاء اللهُ " . ولهذا قال الإمام عبد القاهر الجرجانى عن الحذف : " إنك ترى به تَرْكَ الذكر ، أفصحَ من الذكر ، والصمتَ عن الإفادة ، أزيد للإفادة " (٢).

ومفعول " يشاء الله " محذوف دلَّ عليه ما قبله كما هــو شــأن فعــل المشيئة والتقدير : إلا قولاً شاءه الله تعالى (٣) ، والغرض من هذا الحذف – والله تعالى أعلم – هو إثبات المشيئة لله عز وجل مطلقاً بحيث تتصرف إليه وتخلص له وحده سبحانه دون سواه من غير تعرض للمفعول .

وحُذف المضاف فى قوله تعالى ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ ﴾ لدلالة ما قبله عليه ، والتقدير : واذكر مشيئة ربك " وذلك لمجرد الاختصار وكونه واضحاً مــن سياق النظم الحكيم .

وفى قوله جل شأنه : ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ كناية عن لازم التذكر وهو الامتثال كما قال عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – " أفضلُ مِنْ ذكر الله باللسان ذِكرُ الله عند أمره ونهيه " (٤) .

" وتعريف الجلالة بلفظ الرب مضافاً إلى ضمير المخاطب دون اســم الجلالة العَلَم يعد من كمال الملاطفة " (٥) .

---

(١) البحر المحيط ١١٥/٦ بتصرف .

(٢) دلائل الإعجاز ت / محمود شاكر ص ١٤٦ .

(٣) التحرير والتنوير ٢٩٦/١٣ .

(٤) التحرير والتنوير ٢٩٨/١٣ .

(٥) السابق ٢٩٨/١٣ .

" وحُذف مفعول " نسيت " والتقدير : " أى إذا نسيت النهى " وذلك لظهوره من مقام الكلام الكريم ، وسهولة إدراكه من خلال النظم الحكيم "(١).

" وعلى جواز كون المعنى فى قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ أى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت الاستثناء يكون المراد من ذلك المبالغة فى الحث على الذكر بإيهام أن تركه من الذنوب التى يجب لها التوبة والاستغفار " (٢) .

---

(١) التحرير والتنوير ٢٩٨/١٣ بتصرف .

(٢) روح المعانى ٢٥٠/١٥ بتصرف .

قال جل شأنه : ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾ الكهف الآيتان [٢٥ ، ٢٦].

- بين يدى هاتين الآيتين :

يخبرنا الله تعالى فى صدر هاتين الآيتين الكريمتين عن المدة التى لبثها أصحاب الكهف فى كهفهم فيقول عز وجل ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾ أى أنهم لبثوا وأقاموا فى كهفهم منذ أن دخلوا فيه إلى أن بعثهم الله جلت قدرته وأطلع عليهم غيرهم مدة ثلاثمائة وتسع سنين ، والأعلم بما لبثوا على وجه اليقين إنما هو الله العليم الخبير الذى يعلم غيب السماوات والأرض فما أبصره سبحانه لكل موجود وأسمعه لكل مسموع لا يخفى عليه من ذلك شئ ، وليس لأهل السماوات والأرض من دونه سبحانه من ولى يتولى أمرهم وينصرهم ، ولا يُشرك الله عز وجل فى قضائه وحكمه فى خلقه أحداً سواه بل هو المنفرد سبحانه بالحكم والقضاء فيهم وتدبيرهم وتصريفهم فيما شاء وأحب ، وبهذا انتهت قصة أصحاب الكهف بكل أحداثها .

والله تعالى أعلم

- أسرار النظم وبلاغياته فى هاتين الآيتين :

قال جل شأنه : ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ... إلخ ﴾ يعد بياناً وتفصيلاً للإجمال الذى سبق فى قوله سبحانه ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ ، والتفصيل بعد الإجمال يؤكد المعنى ويقرره فى ذهن السامع لذكره مرتين

مرة على سبيل الإجمال ومرة على سبيل التفصيل ، وبهذا فإن التفصيل بعد الإجمال هنا يقرر أن أصحاب الكهف قد لبثوا فى كهفهم مدة طويلة من الزمن تقدر بثلاثمائة وتسع سنين .

وجاء قوله جل شأنه : ﴿ ثَلَاثَ مائَةَ سنينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾ على غير المتبادر وهو " ثلاثمائة وتسع سنين " مع أنه أخصر وأظهر " وذلك للإشارة إلى أنها ثلاثمائة بحساب أهل الكتاب واعتبار السنة الشمسية وثلاثمائة وتسع بحساب العرب واعتبار السنة القمرية فالتسع مقدار التفاوت إذ يحصل منه سنة قمرية كاملة فى كل ثلاث وثلاثين سنة شمسية ، فيكون التفاوت فى مائة سنة شمسية بثلاث سنين زائدة قمرية . أو يجوز أن يكون أهل الكتاب قد اختلفوا فى مدة لبثهم كما اختلفوا فى عدتهم فجاء قوله تعالى : ﴿ وَلَبِثُوا ... إلخ ﴾ رافعاً للاختلاف مبيناً للحق ، ويكون ﴿ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾ تقريراً ودفعاً للاحتمال نظير الاستثناء فى قوله تعالى ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ العنكبوت من الآية [١٤] (١) .

" أو لعلهم لما استكملوا ثلاثمائة سنة قرب أمرهم من الانتباه ثم اتفق ما أوجب بقاءهم فى النوم بعد ذلك تسع سنين " (٢) .

وحُذف تمييز العدد فى قوله جل شأنه : ﴿ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾ لدلالة الكلام عليه ، " والتقدير " وازدادوا تسع أعوام " لأنه لما قال : وازدادوا تسعاً لم يدر الناس أهى ساعات أم أيام أم جُمع أم شهور أم أعوام ؟ فاختلف بنو

---

(١) روح المعانى ٢٥٢/١٥ .

(٢) تفسير الفخر الرازى ١١٣/٢١ .

إسرائيل بحسب ذلك فأمره الله تعالى أن يرد العلم إليه فى التسع فهو على هذا مبهمة لكن ظاهر كلام العرب المفهوم منه أنها أعوام " (١) .

قال عز وجل : ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ .

ذكرنا فى الآية السابقة أن قوله عز وجل : ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ... إلخ ﴾ بيان وتفصيل للإجمال فى قوله تعالى ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ فعلى هذا يكون قوله جل شأنه ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ﴾ تقريراً لكون المدة المضروب فيها على آذانهم هى هذه المدة كأنه قيل : قل الله أعلم بما لبثوا وقد أعلم فهو الحق الصحيح الذى لا يحوم حوله شك قط ، وفائدة تأخير البيان التنبيه على أنهم تنازعوا فى ذلك أيضاً لذكره عقيب اختلافهم فى عدة أشخاصهم وليكون التذييل بقل الله أعلم محاكياً للتذليل بقوله سبحانه ﴿ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم ﴾ وللدلالة على أنه من الغيب الذى أُخبر به عليه الصلاة والسلام ليكون معجزاً له ، ولو قيل : فضربنا على آذانهم سنين عدداً وأتى به مبيناً أولاً لم يكن فيه هذه الدلالة البتة " (٢) .

وفى قوله جل شأنه : ﴿ لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ قصر بطريق التقديم والمقدم هو الخبر " له " حيث قُصر علم غيب السماوات والأرض على الله تعالى وحده دون غيره من قصر الصفة على الموصوف قصراً

---

(١) الفتوحات الإلهية ٣/١٩ .

(٢) روح المعانى ١٥/٢٥١ ، ٢٥٢ .

حقيقياً تحقيقياً ، وهذا القصر رد مؤكد على كل من يـزعم أنـه يعلـم نبـأ أصحاب الكهف ونحوهم .

" وقوله عز وجل ﴿ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ﴾ بصيغة التعجب يدل علـى أن شأن علمه سبحانه بالمبصرات والمسـموعات خـارج عمـا عليـه إدراك المدركين لا يحجبه شئ ولا يحول دونه حائل ولا يتفاوت بالنسبة إليه اللطيف والكثيف والصغير والكبير والخفى والجلى " (١) .

" ولعل تقديم ما يدل على عظم شأن بصره عز وجل على ما يدل على عظم شأن سمعه سبحانه لما أن ما نحن بصدده من قبيل المبصرات " (٢) .

" وقوله جل شأنه : ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ أبلـغ فـى نفـى الشريك من أن يقال : " من ولى ولا شريك " (٣) .

وتنكير " أحداً " يفيد العموم والشمول أى : ولا يشرك فى حكمـه أى أحدٍ من خلقه كائنٍ من كان ، وفى هذا تأكيد حاسم على نفى الشـريك نفيـاً قاطعاً .

والله تعالى أعلم

---

(١) تفسير أبى السعود ٣/٣٧٦ .
(٢) روح المعانى ١٥/٢٥٥ بتصرف يسير .
(٣) السابق ١٥/٢٥٦ .

الخاتمـــــــة

تناولت فيما سبق دراسة وتحليل النظم القرآنـــى الحكـــيم فـــى قصـــة أصحاب الكهف تحليلاً بلاغياً يكشف عن خصائصـــه التعبيريـــة وأســـراره البلاغية ، وقد بدأت هذه الدراسة المتواضعة بمقدمة وتمهيد تحدثت فيه عـــن القصص القرآنى ومفهوم القصة فى القرآن الكـــريم ، وأبـــرز أغراضـــها ، والأسرار المتعلقة بتكرار القصص القرآنى ، وكذا تطرق الحديث إلى ســـيرة أصحاب الكهف ونشأتهم وهجرتهم من أوطانهم وما حدث لهم فى كهفهم حتى نهايتهم ، وبيان مظاهر القدرة الإلهية فى قصتهم الباهرة ومناسبة مطلع تلـــك القصة وهو قوله : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَـــا عَجَبًا ﴾ لقوله عز وجل : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا .... جُرُزًا ﴾ ثم أتبعت هذا التمهيد بذكر الآيات الكريمة التى تحدثت عن قصـــة أصـــحاب الكهف وهى من الآية التاسعة إلى الآية السادســـة والعشـــرين مـــن ســـورة الكهف ، وقد قسمت تلك الآيات إلى عدة مجموعات تبعاً لأحداث ومشاهد تلك القصة المعجزة ، ودرست تلك الآيات وحللتها تحليلاً بلاغياً وافياً كاشفاً عن سماتها التعبيرية واللغوية ومجلياً لأسرارها ونكاتها البلاغية ، وفيمـــا يـــأتى تلخيص سريع لأبرز الصور والألوان البلاغية المختلفـــة التـــى وردت فـــى تحليل النظم القرآنى لتلك القصة الباهرة :-

(١) **الاستفهام** : وقد ورد فى تلك القصة فى موضعين :

الموضع الأول : فى قوله تعالى : " أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْـــفِ .. الآية [٩] ذكرتُ أن المفسرين اختلفوا فى معنى الاستفهام هنا فـــذهب فريـــق إلى أنه بمعنى الإنكار ، وقد وجهه العلامة أبو السعود إلى أمة النبى - ﷺ

- حيث قال " والمراد إنكار حسبان أمته " (١) ولعله ذهب إلى ذلك تأدباً مع النبى - ﷺ - ، ويرى بعض المفسرين غير ذلك .. وقد أوضحت هذا الخلاف من خلال تحليل هذه الآية من الدراسة (٢) .

الموضع الثانى : فى قوله عز وجل : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ الآية [١٥] .

فالاستفهام فى هذا القول الكريم يفيد النفى أى : لا أظلمُ ممن افترى على الله كذباً بنسبة الشريك إليه تعالى الله عز وجل عن ذلك علواً كبيراً .

(٢) التقديم والتأخير :

وجاء فى قصة أصحاب الكهف فى ثلاثة مواضع : منها موضعان أفاد التقديم فيهما التخصيص وسيأتى الحديث عنهما فى الكلام عن القصر ، أما الموضع الثالث فقد أفاد التقديم فيه غرضاً آخر خلاف التخصيص وهو ما جاء فى قوله جل شأنه : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ الآية [١٠] ففى هذه الآية الكريمة قُدم المجروران " من لدنك " على المفعول الصريح " رحمة " ، ورشداً لإظهار الاعتناء بهما وإبراز الرغبة فى المؤخر بتقديم أحواله " (٣) ، وهذا التقديم من صور تقديم بعض المعمولات على بعض .

---

(١) ينظر أبو السعود ٣٦٢/٣ .

(٢) ينظر ص ٢٨ ، ص٢٩

(٣) ينظر روح المعانى ٢١١/١٥ ، وأبو السعود ٣٦٣/٣ .

(٣) **القصر** : ورد هذا اللون البلاغى فى تلك القصة فى موضعين :

الموضع الأول : فى قوله جل شأنه : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ... ﴾ الآية [١٣] ففى هذا القول الكريم قصر بطريق التقديم حيث قُدم المسند إليه " نحن " على الخبر الفعل " نقص " وذلك لإفادة التخصيص أى أن الله تعالى هو الذى يقص عليك نبأ أصحاب الكهف لا غيره ، فقصُّ هذا النبأ بالحق مقصور على الله عز وجل دون سواه وهو من قصر الصفة على الموصوف قصراً حقيقياً تحقيقياً .

الموضع الثانى : فى قوله عز وجل ﴿ لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.... ﴾ الآية [٢٦] وهو قصر بطريق التقديم أيضاً غير أن المقدم هنا هو الخبر " له " حيث قُصر علم غيب السموات والأرض على الله تعالى وحده دون غيره من قصر الصفة على الموصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

(٤) **الحذف** :

وهو من الظواهر البلاغية الشائعة فى قصة أصحاب الكهف حيث ورد فى مواضع متعددة ، وقد تنوع الحذف فى تلك القصة ما بين حذف الجُمل والمشاهد ، وحذف الجملة وحذف جزء من الجملة .

أولاً : حذف الجمل والمشاهد : وجاء فى مواضع ثلاثة فى القصة نوجزها فيما يلى :-

الموضع الأول : فى قوله عز وجل : ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت ...﴾ الآية [١٧] حيث يلاحظ من السياق القرآنى لهذه الآية الكريمة وما تقدم عليها أن هناك كلاماً لم يُصرح به فى هذا السياق دلَّ عليه قوله تعالى : ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ ... إلخ ﴾ ، والتقدير كما يقول العلامة أبو حيان : " فأووا

إلى الكهف فألقى الله تعالى عليهم النوم واستجاب دعاءهم حين قالوا : ﴿رَبَّنَا آتِنَا ... إلخ ﴾ وأرفقهم فى الكهف بأشياء من بينها أنك ترى الشمس إذا طلعت ... إلخ " (١) .

الموضعان الثانى والثالث : فى قوله جل وشأنه : ﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ الآية [٢١] .

فالمتأمل للسياق القرآنى الحكيم لهذه الآية الكريمة وما سبقها وهو قوله تعالى : ﴿ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ... إلخ ﴾ الآية [١٩] يلحظ أن هناك " جُملاً محذوفة فى هذا السياق كما يقول العلامة أبو حيان والتقدير : " فبعثوا أحدهم ونظر أيها أزكى طعاماً وتلطف، ولم يُشعر به أحداً فأطلع الله تعالى أهل المدينة على حالهم " (٢) وكذلك يلحظ من خلال نظم هذه الآية الكريمة التى نحن بصددها أن هناك كلاماً قد طُوى ولم يُذكر قبل قوله عز وجل : ﴿ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا ... إلخ ﴾ ، وكأنه قيل : " وكذلك أعثرنا الناس على أصحاب الكهف حين تنازعوا فى أمر البعث فتحققوا ذلك وعلموا أن هؤلاء آية من آيتنا فتوفاهم الله تعالى بعد أن حصل الغرض من الإعثار فقالوا ابنوا ... إلخ " (٣) .

ثانياً : حذف جزء من الجملة : " وقد ورد كثيراً فى ثنايا تلك القصة اكتفى هنا بذكر بعض مواضعه :-

---

(١) البحر المحيط ١٠٧/٦ .

(٢) البحر المحيط ١١٢/٦ .

(٣) روح المعانى ٢٣٥/١٥ .

(أ) **حذف المفعول** : فى قوله تعالى : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ ... ﴾ الآية [١١] والتقدير : " أنه تعالى ضرب عليهم حجاباً يمنع من أن تصل إلى أسماعهم الأصوات الموقظة " (١) .

(ب) **حذف المضاف** : فى قوله عز وجل : ﴿ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ... ﴾ الآية [١٥] والتقدير : " لولا يأتون على ألوهيتهم أو على صحة اتخاذهم لها آلهة ... إلخ " .

(ج) **حذف الظرف** : فى قوله سبحانه : ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ ﴾ من الآية [١٩] ، والتقدير : " كم يوماً لبثتم " بدليل جوابهم " قالوا لبثنا يوماً " .

(د) **حذف المسند إليه** : فى قوله جل شأنه : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ... ﴾ الآية [٢٢] . والتقدير : " سيقولون هم ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولن هم خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ويقولون هم سبعة وثامنهم كلبهم " ... وغيرها الكثير من مواضع الحذف التى تحدثت عنها من خلال هذه الدراسة (٢) مع بيان أسرارها البلاغية ، ولكن لم اذكرها هنا تجنباً للإطالة التى لا داعى لها .

(٥) **الالتفات** : وقد جاء هذا اللون البلاغى فى تلك القصة فى موضعين :

الموضع الأول : فى قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ ﴾ الآية [١٣] ففى هذه الآية الكريمة التفات من المتكلم فى قوله " نحن نقص " إلى الغيبة فى قوله " آمنوا بربهم " لأن الاسم الظاهر من قبيل الغيبة ، ومقتضى الظاهر أن يقال : " آمنوا بنا " .

---

(١) التحرير والتنوير ٢٦٨/١٣ .

(٢) ينظر ص ٤٠ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦١ .

الموضع الثانى : فى الآية السابقة نفسها حيث وقع التفات من ضمير الغيبة فى قوله تعالى : " بربهم " إلى ضمير التكلم فى قوله سبحانه : " وزدناهم " ، وقوله تعالى فى الآية التالية : " وربطنا " .

(٦) الفصل والوصل : ورد الفصل بين الجمل فى هذه القصة فى ثلاثة مواضع :

الموضع الأول : فى قوله جل شأنه : ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ ... ﴾ الآية [١٩] حيث " فُصلت جملة " قال قائل منهم " عما قبلها " بعثناهم " لأنها استئناف بيانى لأن النفس تتطلع بعد سماعها الجملة الأولى إلى ما دار بينهم من تساؤل فجاءت جملة " قال قائل منهم " جواباً على ذلك التطلع " (١) .

الموضعان الثانى والثالث : فى قوله عز وجل : ﴿ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ... ﴾ الآية [٢٢] .

فقوله تعالى : " قل ربى أعلم بعدتهم " استئناف بيانى لما يثيره قوله سبحانه : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ... إلخ ﴾ من ترقب تعيين ما يعتمد عليه من أمر عدتهم فأجيب بأن يحال العلم بذلك على علام الغيوب سبحانه وتعالى " (٢) .

وكذا قوله جل شأنه : ﴿ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ استئناف بيانى لأن الإخبار عن الله تعالى بأنه الأعلم يثير فى نفوس السامعين أن يسألوا : هل يكون بعض الناس عالماً بعدتهم علماً غير كامل ؟ فأجيب بأن قليلاً من الناس يعلمون ذلك لا محالة هم من أطلعهم الله تعالى على ذلك بوحى " (٣) .

---

(١) التفسير البلاغى للاستفهام فى القرآن الحكيم ٢/٢٤٠ .

(٢) التحرير والتنوير ١٣/٢٩٣ .

(٣) السابق نفسه ١٣/٢٩٣ .

بينما جاء الوصل بين الجُمل فى موضعين ، وذلك فى قوله تعـالى : ﴿ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَـا يُشْـعِرَنَّ بِكُـمْ أَحَدًا ﴾ الآية [١٩] .

حيث وُصلت جملة " وليتلطف " بما قبلها " فلينظر " ، وكذلك وُصـلت جملة " ولا يشعرن " بما قبلها " وليتلطف " وذلك لما بين هذه الجمـل مـن التوسط بين الكمالين لاتفاقهم فى الإنشائية لفظاً ومعنى .

(٧) **التشبيه** : وقد جاء فى القصة فى موضعين :

الموضع الأول : فى قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ ... ﴾ الآية [١٩] .

الموضع الثانى : فى قوله عز وجل : ﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَـيْهِمْ ... ﴾ الآية [٢١] .

وقد أوضحت هذين التشبيهين فى موضعهما من تلك الدراسة (١) .

(٨) **الاستعارة** : وقد تنوعت ووردت فى غير موضع فى هذه القصة :-

أولاً : الاستعارة التصريحية التبعية : وقد جاءت فى أربعة مواضع :

الموضع الأول : فى قوله جل شأنه : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَـى آذَانِهِـمْ ... ﴾ الآية [١١] حيث استُعير الضرب على الآذان للإنامة الثقيلة .

الموضع الثانى : فى قوله عز وجل : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِـزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾ الآية [١٢] فهنا استعير البعث والإحياء للإيقاظ مـن النوم .

الموضع الثالث : فى قوله جل شأنه : ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُـوبِهِمْ ... ﴾ الآية [١٤] حيث استعير الربط وهو الشد بالحبل لتقويـة الإيمـان وتثبيتـه وتمكينه فى قلوبهم .

---

(١) ينظر ص ٦٤ ، ص٥١ .

الموضع الرابع : فى قوله تعالى : ﴿ تَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ... ﴾ الآية [١٨] فهناك استُعير " رقود " لشدة واستغراق نومهم .

ثانياً : الاستعارة التصريحية الأصلية : وقد جاءت فى موضع واحد فى قوله جل وعلا : ﴿ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ﴾ الآية [٢٢] .

حيث استعير " الرجم " وهو الرمى بالحجارة ونحوها للتكلم بما لم يُطلع على لخفائه عنه أو لإلقاء الكلام من غير علم ولا رواية .

ثالثاً : الاستعارة التمثيلية : وقد وردت فى موضع واحد أيضاً فى قوله عز وجل ﴿ وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ الآية [١٨] .

ففى قوله تعالى : " ولملئت " استعارة تمثيلية فكون الرعب يملأ الصدر مجاز . وقد بينتُ هذه الاستعارة فى موضعها من الدراسة (١) .

(٩) **الكناية** : وجاءت فى القصة فى مواضع ثلاث :-

الموضع الأول : فى قوله عز وجل : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ ... ﴾ الآية [١١] ففى هذا القول الكريم " كناية عن الإنامة الثقيلة لأن النوم الثقيل يستلزم عدم السمع ، لأن السمع السليم لا يحجبه إلا النوم بخلاف البصر الصحيح فقد يحجب بتغميض الأجفان " (٢) .

الموضع الثانى : فى قوله جل شأنه : ﴿ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ... ﴾ الآية [١٩] ، فهنا كناية عن قِصر المدة حسب تصورهم .

الموضع الثالث : فى قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ... ﴾ الآية [٢٤] ، فهذا القول الكريم " كناية عن لازم التذكر وهو الامتثال " (٣) .

---

(١) ينظر ص٤٤.

(٢) روح المعانى ٢١٢/١٥ ، والتحرير والتنوير ٢٦٨/١٣ .

(٣) التحرير والتنوير ٢٩٨/١٣ .

(١٠) المجاز المرسل : وورد فى موضع واحد فى تلك القصة وذلك فى قوله جل شأنه : ﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ ... ﴾ الآية [٢١] :

ففى قوله تعالى : " أعثرنا " مجاز مرسل علاقته السببية ، والمراد أطلعنا .

هذا وقد تمخضت هذه الدراسة المتواضعة عن بعض الأمور المهمة وهى :-

١- أن القصة فى القرآن الكريم تميزت بنظمها المحكم وأسلوبها الدقيق ، وهو ما يؤدى إلى تحقيق الغرض منها بيسر بل ويكون أثرها أعمق فى وجدان من يسمعها بخلاف القصة البشرية التى تعتمد على سرد الأحداث بشكل تفصيلى ، وتصوير المشاهد بعبارات طويلة مكررة ، وهذا يُفقدها التأثير الوجدانى .

٢- أن قصة أصحاب الكهف آية معجزة باهرة فى كل أحداثها ومشاهدها فهى لا تدل إلا على طلاقة قدرة الله عز وجل لما تشتمل عليه من غرائب وعجائب خارقة للعادة ، ومن هنا فهى جديرة بالتأمل والتدبر والعبرة بل والإقرار بكمال وطلاقة قدرة الله جل وعلا .

٣- سلك النظم القرآنى فى عرض تلك القصة الباهرة مسلكاً معجزاً فى تصوير مشاهدها وإبراز أحداثها حيث اختصت كل مجموعة من آيات ذلك النظم الحكيم بعرض مشهد أو جانب من أحداث ومشاهد تلك القصة بأسلوب بديع يتميز بالتنوع وعدم التكرار ، وفى هذا تأكيد قاطع على أنه لا تكرار فى القصص القرآنى الحكيم .

٤- تعد الأساليب والألوان البلاغية الواردة فى النظم القرآنى لتلك القصة من العوامل الجوهرية فى إبراز معانيها وأغراضها وتصوير مشاهدها وأحداثها تصويراً حقيقياً كأنها حدثت الآن .

٥- تُعلمنا تلك القصة الباهرة أن المؤمنين بالله عز وجل إيماناً مخلصاً صادقاً فى كل زمان ومكان يكونون أبداً فى معية مولاهم جل وعلا يحفظهم بحفظه ويشملهم بعنايته ورحمته ، وهذا ما حدث لأصحاب الكهف الذين آمنوا بربهم جل شأنه إيماناً مخلصاً حيث حفظهم الله جلت قدرته بحفظه ورحمته فى كهفهم مدة ثلاثمائة وتسع سنين دون أن تتغير معالمهم وصورهم ، وهذا يدل على طلاقة قدرة الله العزيز القدير .

وبعد فلا أملك فى ختام هذه الدراسة المتواضعة إلا أن أتضرع إلى الله عز وجل بأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يمنحه الرضا والقبول ، إنه سميع مجيب .

﴿ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ .

والحمد لله وحده فى الأولى والآخرة والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أهم المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم

١- البرهان فى علوم القرآن – للزركشى – ت / محمد أبو الفضل إبراهيم – ط / دار التراث .

٢- البلاغية القرآنية عند الإمام الخطابى – د / صبَّاح دراز – ط / مطبعة الأمانة .

٣- التصوير الفنى فى القرآن الكريم – لسيد قطب – ط / دار المعارف – الطبعة الثالثة .

٤- تفسير أبى السعود – ط / دار الفكر .

٥- تفسير البحر المحيط – لأبى حيان الأندلسى – ط / دار الفكر الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

٦- التفسير البلاغى للاستفهام فى القرآن الحكيم – د / عبد العظيم المطعنى – ط / أميرة للطباعة والنشر – مكتبة وهبة – الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

٧- تفسير التحرير والتنوير – للطاهر بن عاشور – ط / دار النشر التونسية .

٨- تفسير روح المعانى – للألوسى البغدادى – ط / دار الفكر .

٩- تفسير الطبرى – ط / دار المعرفة .

١٠- تفسير الفخر الرازى – ط / دار الفكر – الطبعة الأولى ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

١١- تفسير القرطبى – ط / دار الكتب العلمية .

١٢- تفسير الكشاف للزمخشرى - ط / دار الريان للتراث .

١٣- حاشية الشيخ زاده على البيضاوى - لمحى الدين شيخ زاده - ط / المكتبة الإسلامية - ديار بكر بتركيا .

١٤- خصائص النظم القرآنى فى قصة إبراهيم عليه السلام - د / الشحات أبو ستيت - ط / مطبعة الأمانة - الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .

١٥- سورة الكهف - للشيخ الشعراوى - ط / أخبار اليوم .

١٦- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية للإمام العجيلى الشافعى الشهير بالجمل - ط / دار الفكر .

١٧- قصص القرآن الكريم - لمحمد أحمد جاد المولى وآخرين - ط / دار التراث .

١٨- لسان العرب - لابن منظور - ط / دار المعارف .

١٩- معترك الأقران فى إعجاز القرآن الكريم - للسيوطى - ط / دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

٢٠- مع القرآن الكريم فى دراسة مستلهمة - لعلى النجدى ناصف - ط / دار المعارف .

٢١- مغنى اللبيب - لابن هشام - ط / دار إحياء الكتب العربية .

٢٢- من بلاغة القرآن الكريم - د / أحمد بدوى - ط / نهضة مصر .

٢٣- النبأ العظيم - د / محمد عبد الله دراز - ط / دار طيبة .

الفهـــرس

الموضـــــوع	رقم الصفحة
المقدمة ..	٣
تمهيد – أولاً : القصص القرآنى .	٦
ثانياً : أصحاب الكهف .	١٥
مظاهر القدرة الإلهية فى هذه القصة .	١٩
– المجموعة الأولى الآيات من ٩ : ١٢ من سورة الكهف	٢٥
– بين يدى هذه الآيات .	٢٥
– مناسبة مطلع قصة أصحاب الكهف لقوله تعـالى : ﴿ إِنَّـا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا ... جُرُزًا ﴾ .	٢٧
– أسرار النظم وبلاغياته فى هذه الآيات .	٢٨
– المجموعة الثانية الآيات من ١٣ : ١٦ من سورة الكهف .	٣٤
– بين يدى هذه الآيات .	٣٤
– أسرار النظم وبلاغياته فى هذه الآيات .	٣٥
– المجموعة الثالثة الآيتان ١٧ ، ١٨ من سورة الكهف .	٤١
– بين يدى هاتين الآيتين .	٤١
– أسرار النظم وبلاغياته فى هاتين الآيتين .	٤٢

الموضـــــوع	رقم الصفحة
– المجموعة الرابعة الآيتان ١٩ ، ٢٠ من سورة الكهف .	٤٥
– بين يدى هاتين الآيتين .	٤٥
– أسرار النظم وبلاغياته فى هاتين الآيتين .	٤٦
– المجموعة الخامسة الآيات من ٢١ : ٢٤ من سورة الكهف	٤٩
– بين يدى هذه الآيات .	٤٩
– أسرار النظم وبلاغياته فى هذه الآيات .	٥١
– المجموعة السادسة الآيتان ٢٥ : ٢٦ من سورة الكهف .	٦٠
– بين يدى هاتين الآيتين .	٦٠
– أسرار النظم وبلاغياته فى هاتين الآيتين .	٦٠
– الخاتمة .	٦٤
– أهم المصادر والمراجع .	٧٤
الفهرس .	٧٦